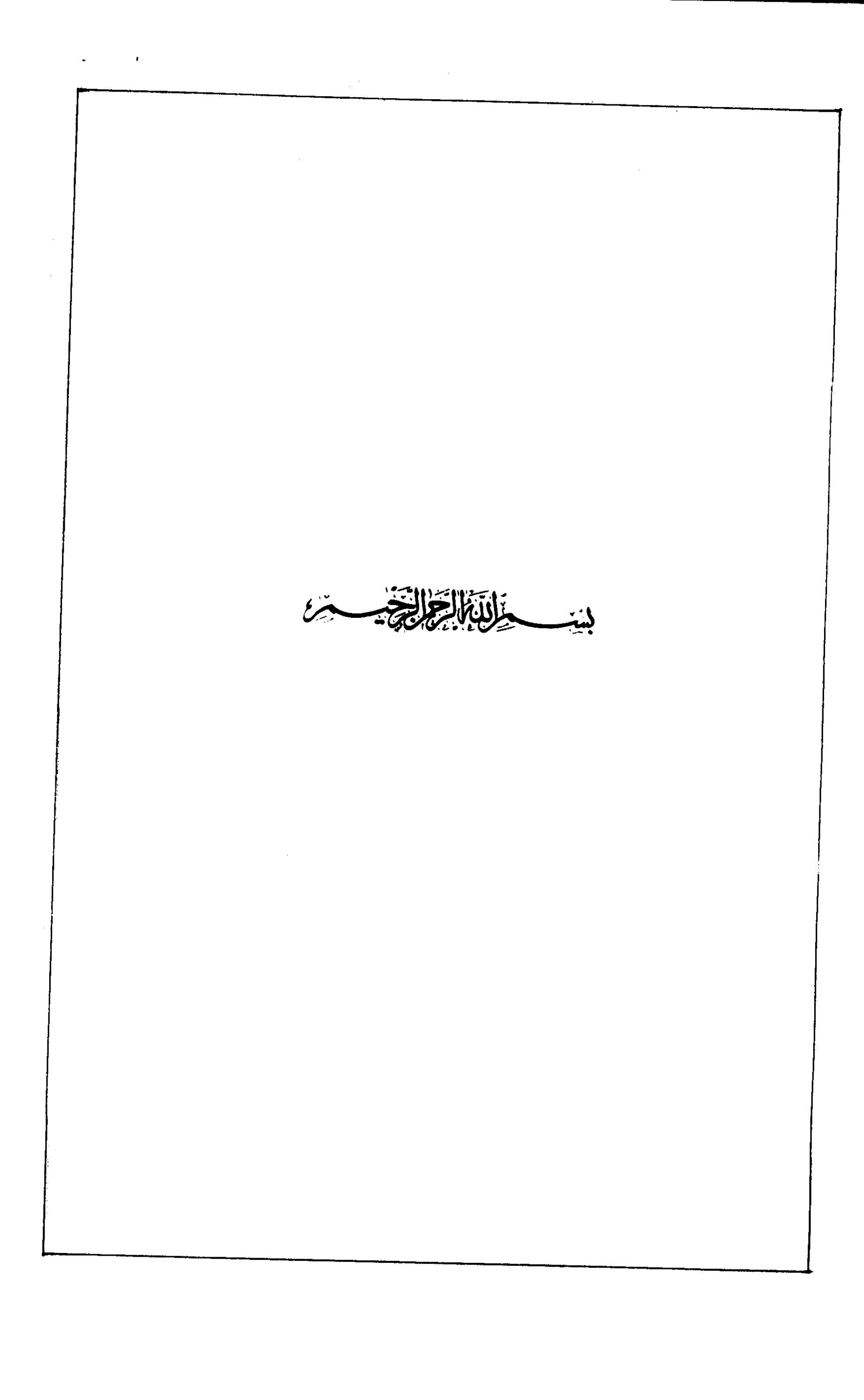
المبرد ودراسة كتابه الفاضل

الدكتور
أبو الحسن عبد الله الخطيب
كلية الآداب بسوهاج

دار الهداية

بسم الله الرحمن الرحيم
وبه نستعين
والصلاة والسلام على أكرم المرسلين سيدنا
محمد وعلى آله وصحبه وسلم

الطبعة الأولى
١٩٨٥


بسم الله الرحمن الرحيم

بسم الله الرحمن الرحيم

وبه نستعين

رب يسر وأعن

تمهيد

هذه درة فاخرة من درر المبرد العظيم أقدمها للمكتبة العربية بعد أن قمت بدراستها دراسة مستأنية كاشفة عن أبعادها ومراميها . وأقصد بهذه الدرة كتابه الفاضل . الذى هو نفحة من فيوضات عقل المبرد وفكره . أطل علينا هذا الكتاب من القرن الثالث الهجرى . ليرسى دعائم التفكير السليم مشيدا بقيمة العقل والعلم المرتكز على أساس متين من الدين والخلق الكريم .

فالكتاب فى جوهره للأخلاق الفاضلة ، وإن تقلب فى صور متعددة بين فكر لغوى نحوى أو لغوى أدبى : شعرى أو نثرى ، أو مثل وحكمة ، أو رواية أو خبر . فإنى رأيت أن هذه المادة المعروضة إن هى إلا دوائر تدور حول نواة هى الفضيلة .

ولعل مأساة عصره (القرن الثالث الهجرى) الذى عاشه كانت الأخلاق ، لأنه عصر اهتزت فيه القيم ، وتداعت الأخلاق . فهم يقولون عنه إنه قرن المتناقضات حيث الشىء وضده .

هذا وإذا أردنا أن نقدم بين يدى هذا البحث بمقدمة تعطى للقارىء لمحة من عصره وحياته وآثاره ، ثم نعرج على آثارة العلمية .

فإنى أقول إن المبرد فى حياته وعصره قد نال حظا كبيرا من الباحثين والدارسين

وقد أسعدنى حظى بأن كنت واحدا منهم ، فتناولت هذه الشخصية وعصرها وحياتها وأساتذته ومعاصريه وتلاميذه وآثاره فى دراسة مفصلة ضمنتها بحثى عن كتاب «المبرد ودراسة كتابه الكامل» والتى كانت موضوع رسالتى للماجستير من كلية الآداب جامعة الإسكندرية ١٩٧٤ ، وذلك حتى لا أكرر ما قاله من سبقنى أو ما قلته شخصيا إلا أن قارىء كتابى هذا يطلب أن يعرف لمحة عن حياة هذه الشخصية العظيمة محل بحثنا هذا ، وحتى لا نطيل سنشير موجزين لأهم ملامحها ونبذة يسيرة عن آثارها .

فهو أبو العباس محمد بن يزيد بن عبد الأكبر الثمالى المعروف بالمبرد . ولد سنة ٢١٠ هـ على أرجح الأقوال . فهو ابن القرن الثالث فيه ولد وفيه عاش وفيه انتقل إلى جوار ربه ٢٨٥ هـ .

ومن المهد إلى اللحد كانت قصة حياة هذا العبقرى ، الذى يعد إماما من أئمة المدرسة البصرية .

نقول تلقى فى طفولته ما يتلقاه أنداده فى المكتب من مبادىء القراءة وأعداد الحساب ثم لما اشتد عوده دفعوا به إلى المسجد الجامع حيث التقى بالشيوخ الأجلاء أبى عمر الجارمى وأبى عثمان المازنى ، وأبى حاتم السجستانى والتوزى والرياشى وغيرهم .

فالمصادر تقول : «وأخذ الناس العلم عن هؤلاء ، فأخذ النحو عن المازنى والجرمى جماعة ، برع منهم أبو العباس محمد بن يزيد الثمالى ، فلم يكن فى وقته ولا بعده مثله . .»[1]

وكلهم ساهم بجهده فى بناء هذا الصرح العلمى الشامخ ، لأنهم فى مجموعهم يمثلون جامعة متكاملة فى اللغة والنحو الأدب والأشعار

(١) أبو على اللغوى : مراتب النحوين ، تحقيق محمد أبو الفضل ابراهيم ص ٨٣ ط/ ١ القاهرة ١٩٥٥

والتاريخ . . الخ . فهو قد استفاد منهم جميعا ومن يقلب فى آثاره الفكرية الباقية يرى أنه عَرَّج عليهم واقتبس من كلامهم .

ففى الكامل مثلا وهو- فيما نظن - آخر تجربة علمية فى حياة المبرد استضاء بفكر الشيوخ السابق الإشارة اليهم ، عدا أبى حاتم السجستانى فلم يستشهد له إلا فى ثلاثة مواضع من كتابه الكامل . واستشهد أيضا بآرائهم فى كتابه الفاضل إلا السجستانى فلم يذكره بالمرة فى هذا الكتاب مما أثار فى نفسى خواطر عديدة .

لماذا لم يستشهد فى هذا الكتاب بأبى حاتم السجستانى وهو تلميذ مخلص للأصمعى وأبى عبيدة وشيخ له قدره فى المدرسة البصرية ؟ علما بأن معظم آثار الأصمعى اللغوية أو الأدبية رواية أبى حاتم السجستانى وكذا أبو عبيدة .

هذا سؤال مطروح ، وللإجابة عليه ينبغى أن نكشف سر العلاقة بين الطالب والأستاذ .

أولا : نعلم أن أبا حاتم السجستانى كان سببا فى ذيوع شهرته (المبرّد) بالفتح وصيرورته لقباله ، علما بأنه نبز .

يقول ابن خلكان فى وفيات الأعيان ، «والمبرد بضم الميم وفتح الباء الموحدة والراء المشددة وبعدها دال مهملة وهو لقب عرف به»[1]

وقال أيضا ، «فالذى ذكره الحافظ أبو الفرج بن الجوزى فى كتاب الألقاب أنه قال سئل المبرد لم لقب بهذا اللقب ؟ .

فقال : كان سبب ذلك أن صاحب الشرطة طلبنى للمنادمة والمذاكرة فكرهت الذهاب إليه ، فدخلت إلى أبى حاتم السجستانى ، فجاء رسول

---

(١) وفيات الأعيان جـ ١ ص ٦٢٦ - ص ٦٢٧

الوالى يطلبنى ، فقال أبو حاتم : ادخل فى هذا - يعنى غلاف مزملة - فدخلت فيه . وغطى رأسه ، ثم خرج إلى الرسول . وقال ليس عندى . وقال أخبرتك أنه دخل إليك . فقال ادخل الدار وفتشها ، فدخل فطاف كل موضع فى الدار ، ولم يفطن لغلاف المزملة ، ثم خرج فجعل أبو حاتم يصفق وينادى على المزملة : المبرَّد : المبرَّد ! وتسامع الناس ذلك فلهجوا به .[1]

وهناك آراء للقدماء والمحدثين هل راء المبرد بالفتح أم بالكسر ؟ أرى أن هذا كله مبسوط فى كتابى «المبرد دراسة كتابه الكامل» . ولكن أرى أن السبب الحقيقى فى عزوف المبرد عن أبى حاتم السجستانى وهجره لحَلْقته ما جاء فى معجم الأدباء لياقوت : «قال ابو العباس : جئت أبا حاتم السجستانى وأنا حدث ، فرأيت بعض ما ينبغى أن تهجر حلقته له ، فتركته مدة ، ثم صرت إليه ، وعميت له بيتا لهارون الرشيد وكان يجيد استخراج المعمى ، فأجابنى :

أيا حسن الوجه قد جئتنا	بداهية عجب فى رجب
فعمَّيتْ بيتا وأخفيته	فلم يخف بل لاح مثل الشهب

والنص الآخر يوضح هيام أبى حاتم به ، يقول ياقوت : «وكان المبرد يحضر حلقته ويلازم القراءة عليه وهو غلام وسيم فقال فيه أبو حاتم أبياتا .

أبرزوا وجهك الجميـ	ـل ولا موا فيه من افتتن
لو أرادوا صيانتى	ستروا وجهك الحسن[2]

---

(١) وفيات الأعيان لابن خلكان جـ ١ ص ٦٢٦ - ص ٦٢٧ ، والمختصر في أخبار البشر لأبى الفدا جـ ٢ ص ٥٨ ، النجوم الزاهرة لابن تغرى بردى جـ ٣ ص ١٦ - ص ١٧ ، وأخبار النحوين البصرين للسيرافى جـ ٧٥ .

(٢) معجم الأدباء لياقوت جـ ١١ ص ٢٦٤ .

فهـل امتد التأثير النفسى الحادث فى الصغر إلى أن يؤثر فيه فى الكبر فيجعله عازفا عن علمه ؟

تلاميذه :

كان المبرد لطيفا ودودا ، ربطته بتلاميذه علاقة حب وود وعطف وعلم وكل غدا علما من أعلام اللغة والأدب أخص منهم : الزجاج ، ابن السرى السراج ، أبـــو بكـــر بن أبى الأزهـــر ، ابن درستـويه ، محمـد بن جعفـر الصيدلانى ، ابن كيســان ، مبرمان النحوى ، ابو الحسن الأخفش ، ابو جعفر النحاس ، ابراهيم بن محمد الكلابزى ،

رواته :

منهم القاضى أبو بكر بن كامل .

أما عن وراقيه :

ذكر ابن النديم فى الفهرست :

(ابن الزجاجى واسمه اسماعيل بن أحمد ، والساسى واسمه ابراهيم بن محمد)[1]

وإذا ذهبنـا إلى المصـادر[2] نستنطقها آثاره فنراها عديدة . منها احتجاج القرأة ، الاختيار ، أدب الجليس ، اسماء الدواهى عند العرب ، الاشتقاق الاعتنـان ، الإعـراب ، إعـراب القـرآن ، الأنـواء والأزمنـة ، البلاغة ،

---

(١) الفهرست ص ٩٥

(٢) المصادر على سبيل المثال : الفهرست لابن النديم ص ٩٤ (ط/ التجارية) ، انباة الرواه ٣/ ٢٥١/ ٢٥٢ معجم الأدباء جـ ١١ ص ٢٦٤ ، طبقات المفسرين للداودى جـ ٢ ص ٢٦٩ ، إرشاد الأديب ٧/ ١٤٤ ، روضات الجنات ٦٧ ، وفيات الأعيان جـ ١ ، ص ٦٢٦ وغيرها .

التعريف ، التعـازى ، الجـامع ، الحث على الأدب والصدق ، الحروف الحروف فى معانى القرآن إلى سورة طه ، الخط والهجاء ، الرد على سيبويه رسـالـة فى أعجاز أبيات تغنى فى التمثيل عن صدورها ، الرسالة الكاملة الـروضـة ، الـرياض المونقة ، الزمان ، الزيادة المنتزعة من كتاب سيبويه الشافى ، شرح شواهد كتاب سيبويه ، شرح كلام العرب وتخليص ألفاظها ومزاوجة كلامها وتقريب معانيها ، صفات الله جل وعلا ، ضرورة الشعر ، طبقـات النحـويين البصريين وأخبـارهم ، العبـارة عن أسـماء الله تعـالى الـروض ، غريب الحديث ، الفاضل والمفضول ، الفتن والمحن ، قواعد الشعر ، القوافى ، الكافى ، الأخبار ، الكامل ، ما اتفقت ألفاظه واختلفت معانيه فى القرآن ، المدخل إلى سيبويه ، المدخل فى النحو ، المذكر والمؤنث ، مسائل الغلط ذكره ابن جنى فى الخصائص ، معانى القرآن ، معنى كتاب الأوسط للأخفش معنى كتـاب سيبـويه ، المقتضب ، المقصور والممدود ، المادح والمقابح ، الناطق ، نسب عدنان وقحطان ، الوشى .

هذه آثـاره ضاع أكثـرهـا وبقى أقلها ، والباقى يشهد بعبقرية الرجل وواسع علمه وتمكنه واقتداره .

ثم قمت بتقسيم البحث إلى ثلاثة فصول :

الفصل الأول : وخصصته لدراسة الكتاب دراسة منهجية .

الفصـل الثانى : وخصصته لدراسة الظواهر والسمات التى اتسم بها منهج المبرد فى الفاضل .

الفصل الثالث : وخصصته لدراسة القيمة العلمية لكتاب الفاضل .

هذا وقـد بذلت فى دراسة منهجه جهدي ، محاولا أن أجلو هذا الأثر الفريد للقارىء ، وأرجو أن أكون قد وفقت .

وبالله التوفيق .

الفصل الأول

منهج المبرد فى الفاضل

منهج المبرد فى كتابه الفاضل :

إن الناظر المتأمل فى منهج المبرد فى فاضله ، يحكم لأول وهلة بأن هذا الكتـاب جمعت مادته بترتيب ذهنى مسبق ، وأن هذه المادة كتبت فى خلوة بعيدا عن قاعة الدرس .

ولكن بالقـراءة المستـأنية لهذا الكتاب ، تبينت أن الكتاب كان املاء بدليل استخدامه لفظ (يافتى) جاء ذلك فى معرض حديثه عن شيوخ المدرسة البصرية ، يقول المبرد رواية عن التِّوزى :

«وحدثنى عن أبى عمرو الشيبانى قال : كنا بالدَّفَّة ، فأنشد الأصمعى :

عننًا باطلا وظلما كما تُعْنَزُ عن حَجْرة الرَّبيض الظِّباء .

فقلت له : «تُعْتَرَ» من العتيرة . والشعر للحارث بن حلزَّة ، وأصل ذلك أن العـرب كانوا إذا بلغت إبل الرجل ألفا فقئوا عين الفحل لِتُدْفَع العين عنها ، فهو المُفَقَّأ يا فتى . . وإذا زادت عن الألف فقئوا العين الأخرى فهو المُعَمَّى وفى ذلك يقول قائلهم :

(فقأت لها عين الفحل تَعَيُّفا[1]

فلفظ (يافتى) لا يقال إلا فى حلقة درس ومقصود بها جذب انتباه التلميذ

---

(١) الفاضل للمبرد : تحقيق عبد العزيز الميمنى ص ٨٥ ط/ ١ القاهرة سنة ١٩٥٦

كي يعى ما يقـوله الأستاذ . وقد رأيت المبرد فى الكامل قد ردد هذا النداء (يافتى) قرابة تسع وثلاثين مرة ، ويا هذا مرة . . . فلو كان هذا الكتاب تأليفا متحدا ما كان هناك من داع لذكر هذا اللفظ . لأنه يقول عنه «فإنا القناه من غير خلوة به ، ولا تمييز لما تضمنه . . » .

معنى ذلـك أن هذا الكتاب أشبه بدروس ألقيت فى قاعة الدرس لا يربـطهـا رابط إلا ما خطط فى الذهن مسبقا ، ولا يخفى أن المادة العلمية المخطط لها ذهنيا قد يحدث خلط فى ترتيبها ، أو إحداث التنسيق فيما بينها .

ومما يؤكد أن الكتاب كان إملاءً أن الكلام قد صَدَّره فى أربعة مواضع[1] بكلمة (قال أبو العباس) .

فلو كان تأليفا متحدا ما كان هناك من داع لذكر هذه الكلمة ، والتى إن دَلَّت على شىء ، فإنها تدل على مستمل استملى هذا الكتاب ، ولم تظهر شخصيته فيه مثال ذلك : (قال أبو العباس : قد ذكرنا من هذا الباب بعض ما استحسنـاه ونمى إلينـا ونحن نذكـر بعقبه أشعاراً تشاكل هذا الباب ، وتدخل فى هذا النوع .

وبالله الحول والقوة . .[2]

جاء ذلك فى نهاية باب الجود والكرم .

ولكن من هو مستملى الكتاب ؟ بالدراسة المستأنية لم نستطع أن نقف على شخصيتـه . يحتمـل أن يكون الأخفش تلميذه مستملى كتابه الكامل وسبق أن لفت نظره بكلمة (يافتى) . أو تلميذ آخر لم يكشف عن شخصيته .

---

(١) الفاضل ص ٣٧ ، ٦٨ ، ٧٢ ، ٨١

(٢) الفاضل ص ٣٧

ولكن أعود فأقول لو كان المستملى هو الأخفش ، لبرزت شخصيته فى الكتاب كما برزت فى كتابه الكامل : شارحا ومفسرا ومعلقا ، ومصححا لرواية المبرد . كما أنه كشف عن شخصيته فى مفتتح كتابه . فكان يصدر كلام المبرد بقوله (قال ابو العباس) وكلامه بقوله (قال أبو الحسن) .

فلو كان للكتاب مقدمة لتضمنت اسم الشخصية المستملية ولأبرزت النصوص جهوده حيالها . ولكن هذا لم يظهر . أضف إلى ذلك أن الكتاب لم يسقط من أوله شيء لأن خطته وضّحها أثناء إملائه مادة كتابه كما يتضح بعدُ .

ونقول إن هذا الكتاب فقد المقدمة المفصلة ، وليست هذه هى السمة الغالبة على تآليف العصر . إذ تحوى الكتب التى ألفت في عصره على مقدمات توضح الخطة التى سيسير عليها المؤلف ومن هذه الكتب عيون الأخبار لابن قتيبة ، إذ قدم مقدمة تبلغ قرابة ست صفحات ، أبان فيها عن منهج الكتاب ومادته فنراه يقول :

وإن وقعت على باب من أبواب هذا الكتاب لم تره مشبعا فلا تقض علينا بالإغفال حتى تتصفح الكتب كلها ، فإنه رب معنى يكون له موضعان وثلاثة مواضيع . فينقسم ما جاء فيه على مواضعه ، كالتلطف فى القول يقع فى كتاب السلطان ويقع فى كتاب الحوائج ، ويقع فى باب البيان ، وكالاعتذار يقع فى كتاب السلطان وفى كتاب الإخوان ، ويقع فى كتاب الزهد ، ويقع فى كتاب النساء . .[1]

وأريد هنا معرفة الصورة العامة لهذا الكتاب ، أو كيف جالت فكرته فى رأسه . فهو ابتدأ حديثه بكلام عن العقل والعلم وأهمية علوم النحو واللغة ،

---

(١) ابن قتيبة : عيون الأخبار جـ ١ ص ٩ ، ٢٠ ط/ ٢ الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٧٣

بل أهمية دراسة علم النحو قبل درس علم الفقه . وهذا الموضوع سنتناوله بعد تفصيلا .

ثم نراه يختم هذا الحديث الذى استمر قرابة ثمانى صفحات ، والذى تناول فيه كثيرا من فنون القول . نراه يقول (. . . وسنذكر فى كتابنا هذا أبوابا من كلام العرب ، وبعض ما روى عنها ، ونثرا من أخبارها ونفصل ذلك بأشعار وأخبار من قديم وحديث وما بينهما ، ونقدم العذر فى تقصير إن وقع فيه ، أو خلل إن لزمه ، فإنا ألفناه من غير خلوة به ، ولا تمييز لما تضمنه ، فنسأل الله توفيقه وحسن معونته ، ونتوكل عليه ونسترشده وبه الحول والقوة . .[1]

وهذه المقدمة تكشف عن أمور أولها أن هذا الكتاب يقوم على عمد ثلاثة شعر ونثر وخبر وثانيهما أن المادة جمعت كيفما اتفق بلا ترتيب ولا تنسيق لأنه يقول (فإنا ألفناه من غير خلوة به ، ولا تمييز لما تضمنه) ، معنى ذلك أن هناك أعمالا أخرى تشارك هذا العمل وتقتطع جزءا من وقته فيه . وأما كلمته التى يقول فيها (ولا تمييز لما تضمنه) معناه أن لا يفضل فى إيراده بابا على آخر ولا نثرا على شعر ولا شعرا على خبر ، بل المادة تأتى حسب وقوعها أو ترتيبها في الذهن .

ولكن أعود فأقول إنه رغم اعتذاره هذا ، فإن المادة التى تضمنها كتاب الفاضل تتسم بشىء من التنسيق فى إيرادها . ولكن هذا التنسيق أو التبويب أو الترتيب لا تبلغ درجة تنسيق وترتيب ابن قتيبة فى كتابه عيون الأخبار .

وإذا نظرنا فى الإطار العام الخارجى للمنهج نراه يكشف عن منهجه وقصده . فيقول بعد أن تكلم عن الرثاء وتقديمه للجيد المتخيرً منها .

---

(١) الفاضل ص ٨

(وهذا من الأبيات النادرة ، وكذلك سبيلنا فيما نحكيه فى كتابنا»[1]

معنى ذلك أنه سيأتى بالنادر ولكن ماذا بعدُ ؟

يقـول : (قـال ابو العباس : قصدنا فيما نحكيه فى كتابنا هذا حسن الاختيار وكثرة الاختصار ، وذكر ما يستغنى به عن غيره ، ويقنع بمثله عن نظيره ، وإنما نذكر فى كل باب أحسن ما روى لنا فيه ، وأطرف ما نمى إلينا منه ، ولو ذهبنا نستقصى آخر هذا الباب لمدَّ بنا البحث ، وطال منا القول والحمد لله الموفق المعين»[2]

فهو رسم إطارا عاما لمنهجه مؤداه أنه سيختار النادر وأن يحسن الاختيار وأنه يميل إلى الاختصار ، مكتفيا بما يؤدى المطلوب منه من أقصر الطرق وأنه سيذكـر أحسن ما روى فى هذا البـاب ، متميزا بالـطرافـة ، ولو أردنا أن نستقصى ما ننوى عمله لطال بنا البحث .

ثم إذا وصلنا إلى نهاية الكتاب نراه يقول :

(قد أردنا أن نصل كتابنا بما شرطناه على أنفسنا من ذكرنا ما ينتفع به مَنْ يأخذه عنا ، وينشره من ينسبه إلينا ، وقد أتينا منه بعض ما أردنا وقصدنا وكرهنا الإطالة ، وخفنا على قارئه السآمة ، وأشفقنا أن يبلغ به حد المجاوزة ، فإن الإكثار سرف ، كما أن التقصير عجز ، ويروى عن بعض الحكماء أنه قال : (من أطال الحديث عَرَّض أصحابه للسآمة وسوء الاستماع»[3]

هذه هى الخطوط العامة لمنهجه فى كتابه . إن المادة فيه ترد دون تنسيق ولا تمييز لها ، وأنه يحكى النادر فيما يأتى به . وأنه يميل إلى الاختصار .

ولكن قبل أن أسترسل فى عرض منهجه تفصيلا ، أرى سؤالا يلح على

---

(١) الفاضل ص ٦١

(٢) الفاضل ص ٦٨

(٣) الفاضل ص ٩٩

خاطرى . هل أراد لكتابه أن ينفذ عن طريق النادر والمستطرف والخبر المختصر إلى قلب شباب القرن الثالث العازف عن الأدب والكاره لأهله . ناهيك عن اللغة والنحو؟

وهل هذه الدعوى التى أثارها والقضية التى ناقشها ابن قتيبة فى كتابه أدب الكاتب وجدت صداها عند المبرد ؟ فبدا ذلك واضحا فى كتابه الكامل فقدم الفكر النحوى محاطا بدوائر من شعر ونثر وقصة وعظة وخبر ومثل وكذلك صنيعه فى الفاضل ؟

أراه هنا أراد أن يأتى لنا بالنادر والمستطرف تقريبا وتشويقا للشباب الذى بَعَدَ عن اللغة والأدب مستمتعا بالمترجمات وغيرها . ويبدو لى كذلك أن هذا الاتجاه نحو التبسيط والتيسير كان هدفا واضحا فى ذهن المبرد .

وأنا على يقين أن علماء القرن الثالث من أهل الغيرة على الدين واللغة أدركوا ذلك جيدا ، ومن هنا كان انطلاقهم فى مجال البحث والتأليف للتقريب والتيسير .

هذا هو الإطار العام للمنهج ، أردت أن أعرف الخطوط العامة التى رسمها لنفسه والتى سار عليها فى كتابه ، ولكن إذا أردنا أن نتعرف على منهجه تفصيلا . فنراه قد افتتح كتابه بهذا التمهيد :

(بسم الله الرحمن الرحيم ، وبه نستعين ، الحمد لله الذى افتتح بالحمد كتابه ، وألهمه عباده ، وجعله مستزيدا لهم من فضله ، وذريعة إلى ما قرَّب منه وأزلف عنده ، وصلى الله على محمد نبيه ، وخاتم رسله وصفوته من خلقه ، وخيرته من عباده ، صلاة تزلفه وتحظيه عنده وسلم تسليما»[1]

(١) الفاضل : ص ١

ثم تحدث بعد ذلك عن العقل والعلم ، وافتتح حديثه بحديث رسول الله صلى الله عليه وسلم :

(يقول المبرد : «إن الله عز وجل خلق خلقه لعبادته ، وأمرهم بطاعته ، ونهاهم عما حرمه ، ووعدهم رحمته ، وحذَّرهم عقابه ، فكان أحسنهم طاعة له وأشدَّهم تقربا منه ، وأبعدهم مما حَرَّمه ، ونهى عنه : العلماء وذو(و) العقل والفضل من خلقه ، فإنه يروى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم (قال) : إن الله يعاقب العاقل بما يعاقب به الجاهل»[1]

ويقول المبرد :

«ففضَّل الله جل اسمه ذكر العالم فى زمانه على سائر نظرائه من خلقه وجعله قدوة لأهل عصره وذكراً لمن يبقى بعده . . »[2]

فهذه المقدمة تثير عندى كثيرا من الخواطر ، أولها أنه ابتدأ كتابه بحديث لرسول الله صلى الله عليه وسلم ، خلافا لما جرت عليه المدرسة البصرية . لزعمها أن الأعاجم قد اشتغلوا به ، وشابته كدرة العجمة . . الخ :

وثانيها حديثه عن العقل والعلم ، وهذا يكشف عن التطور العلمى فى هذا القرن . وارتقاء الفكر واتساع آفاق المعرفة . لأن العقل والعلم هما جوهر المدنية وسر التقدم .

وثالثها : إلحاحه على قيمة العقل والعلم . فهل هذا انعكاس وصدى للتطور المادى الذى شمل الحياة فى هذا القرن . فأراد المبرد أن يرجع بأهل زمانه المنغمسين فى المادة إلى نطاق العقل والفكر والروح ؟ .

ورابع هذه الخواطر هل حديث المبرد عن أهمية العالم واحترامه صدى لما كتبه ابن قتيبة من عزوف الشباب عن الأدب واللغة والنعى على أهله وزرايتهم .

---

(۱)، (۲) الفاضل ص ۱

وأخيرا حسم المبرد القضية بقوله : «ففضل الله جل اسمه دكر العالم فى زمانه على سائر نظرائه من خلقه ، وجعله قدوة لأهل عصره ، وذكرا لمن يبقى بعده .

وأرى فى هذه الـدعـوة تحريضـا للشبـاب على العلم وتقـديرا لأهله واحترامهم وأنه الذكر الحسن الباقى . ثم تكلم عن فضل العلم والعمل به ، وتكريم آل البيت وأفضليتهم .

فهل هذا الكلام يكشف عن سر تعلقه بآل البيت . بأنه علوى الهوى وإذا كان ذلك كذلك ، فإنى أرى أن هذا الكتاب ألف بعد وفاة المتوكل سنة ٢٤٧ هـ لأنه كان لهم كاره وشانىء .

وآية ذلـك أنه أورد أقوالا كثيرة للإمام على رضى الله عنه منها قوله : «فضل العلم خير من فضل العمل»(١) ، ويقول ابن عمر رضى الله عنهما إذا ترك العـالم قول «لا أدرى» أصيب مقاتلهُ» . وقال الإمام على كرَّم الله وجهه : «يابَرْدَها على الكبد من عالم يقول : «لا أدرى»(٢)

وأعود فأقول إن المبرد بكلامه عن العقل والعلم والعمل به ، والحكمة واستبدادها بالقلب والعقل ، أقول إنه جعل ذلك كله مدخلا لحديثه عن غرضه الأساسى ، ألا وهو تقريب الفكر النحوى للناشئة . تبينت ذلك من استعـراضى لأقواله السابقة ، ومن الحاحه فى حديثه عن العلم لأنه جعل كتاب الله عز وجل أفضل ما قصد فى العلم استمع اليه يقول : (وأفضل ما قصـد به من العلوم كتـاب الله جل ذكره . والمعرفة بما حَلَّ فيه من حلاله وحرامه ، وأحكامه ، وإعراب لفظه ، وتفسير غريبه . »(٣)

---

(١) الفاضل ص ٢
(٢) الفاضل ص ٣
(٣) الفاضل ص ٤

فهنا كشف عن قصده وأبان عن هدفه من كلامه ، وأراد أن يقدم بين يدى حديثه بكلمة قبل أن يكشف عن غرضه فقال :

(ويروى أن المأمون أمر معلمٌ الواثق بالله وقد سأله عما يعلمه إياه ـ أن يعلمه كتاب الله جل اسمه ، وأن يقرئه عهد أردشير ، ويحفظه كتاب كليلة ودمنة»[1]

فهذا النص يكشف عن أن أساس العلم فى رأى الأمير العالم ـ كتاب الله أولا ثم عقب المبرد بعد ذلك بقوله .

(. . : وأفضل العلم بعدُ علم اللغة وإعراب الكلام ، فإنَّ ذلك يقرأ القرآن ، وعليه تروى الأخبار ، والأشعار ، وبه يزين المرء كتابه ويحلىٍّ لفظه ، قال الله عز وجل :«بلسان عربى مبين» .

وهو فى نظرى قد جعل علم اللغة والنحو مطلبا ضروريا بعد كتاب الله لأن النحو واللغة سبيل القراءة الصحيحة ، فالقرآن يُقرأ مضبوطا من خلال اللغة والنحو ، وهذا الكتاب يزين الكلام رواية وخبرا وشعرا .

ثم جعل المبرد كلامه عن أهمية اللغة والنحو مدخلا للحديث عن النحو وقصته . فقال :

(قال الشاعر :

الـنحـــو يطلق لســـان الألكن	والمـــرير تُعـــظِمـه إذا لم يلحق
فإذا طلبت من العلوم أجلهـــا	فأجَـلهـــا منهـــا مقـيمُ الألسن

معنى ذلك أن النحو أفضل العلوم ، وعليه فهذا تفسير وبيان لما قدمه فى صدر كتابه من كلام عن أهمية العقل والعلم .

---

(١) الفاضل ص ٤

ثم قال بعد ذلك معززاً قوله بحديث رسول الله صلى الله عليه وسلم بأن النحو ضرورى لإعراب كتاب الله .

يقول المبرد : «وقال صلى الله عليه وسلم : «أعربوا فى كلامكم تعربوا فى كتاب الله» .

وقال عمر بن الخطاب رحمة الله عليه : تعلموا العربية تحرزوا المروءة» .

وهذا النص يكشف عن منازع هامة لدى المبرد ، هذه المنازع تتجلى فى اعتماده على حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم تعزيزاً لرأيه وتوثيقا لقوله . أضف إلى ذلك احترامه للشيخين الجليلين أبى بكر وعمر رضى الله عنهما .

وتكلم المبرد عن النحو والأعاجم فقال :

«وكان الصدر الأول من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يعربون طبعا ، حتى خالطهم العجم ففسدت ألسنتهم ، وتغيرَّت لغاتهم»[1]

فتكلم هنا عن التطور والاتصال الحضارى بأبناء الأمم المفتوحة وما جناه هذا الفتح على العربية وفصاحة اللسان العربى .

وتكلم المبرد فى معرض حديثه عن اللغة والنحو عن الأعاجم وأثرهم فيما طرأ على اللسان العربى ، نراه يقول :

«ويروى أن عمر بن عبد العزيز : رأى قوما من الفرس ينظرون فى النحو فقال : (لئن أصلحتموه لأنتم أول من أفسده»[2]

وقد تنبه العلماء لهذا الخطر الداهم الذى يتهدد اللغة من جراء استخدام الأعاجم لها فقال :

---

(١) الفاضل ص ٤
(٢) الفاضل ص ٥

«ويروى أن رجلا قال لبعض العلماء : أسألك عن شيء من الغريب ، فقال هو كلام القوم ، وإنما أنت وأمثالك فيه غرباء» . .[1]

نشأة النحو وذكر السبب فى نشأته :

يقول المبرد : «وذكر أن السبب الذى بنى له أبواب النحو وعليه أُصِّلَتْ أصوله أن ابنة أبى الأسود الدِّئلي قالت : يا ابتِ ما أشدُّ الحرِّ ! قال : الحصباءُ بالرَّمضاء . قالت : إنما تعجبت من شدته ، قال أو قد لحن الناس ؟ فأخبر بذلك عليا ـ رحمة الله عليه ـ فأعطاه أصولا بنى منها ، وعمل بعده عليها ، فأخذه عن أبى الأسود عنبسة بن معدان المَهْرىّ الذى يقال له عنبسة الفيل . وأبو الأسود أول من نقط المصاحف ، ثمَ أخذ النحو عن عنبسة ميمون الأقرن ، ثم أخذه عن ميمون عبد الله بن أبى اسحق الحضرمى الذى يقول فيه الفرزدق .

فلو كان عبد الله مولى هجوتة ولكن عبد الله مولى مواليا

ثم أخذه عنه عيسى بن عمر ، وأخذه عن عيسى الخليل بن احمد الفُرْهودى ، ثم أخذه عن الخليل سيبويه ـ واسمه عمرو بن عثمان الحارثى ـ ثم أخذه عن سيبويه الأخفش وهو سعيد بن مسعدة المجاشعى»[2]

فنرى من خلال سرده لقصة نشأة النحو أنه أشار فى ثنايا الكلام إلى دور خطير وهام ، يتعلق بصميم عملية النحو ، ألا وهو نقط المصاحف وأن أبا الأسود الدئلى هو أول من قام بهذا العمل الهام الخطير . فهنا ربط بين النقط والقراءة الصحيحة والنحو . .

---

(١) الفاضل ص ٥

(٢) الفاضل ص ٥

اللسان كأداة تعبير :

ثم تكلم عن اللسان وأهميته كأداة تعبير فقال :

«وأفضل ما فى الانسان المعبر عن شأنه المبينٌ لمعرفته لسانه . .»(١) ثم عاد ثانية للكلام عن علم النحو فقال : «وبعد معرفة النحو علم الدين والفقه والتفقه فيه ، ومعرفة الحلال والحرام منه»(٢)

ثم كشف عن الهدف من هذا الكتاب بأنه يحض على مكارم الأخلاق ودرس الأدب والأخذ منه بطرف .

يقول المبرد : « . . واعتمدنا تأليف الكتاب ، والحث على طلب الأدب والترغيب فيه والحض على الإكثار منه ، فإن المستكثر من شىء إن لم يدرك آخره ، ولم يأت على غابره ، استكثر من الصواب ، واستقل من الخطأ ، وتزين به عند الناس واستَتر به من لؤم أهله ، وإنما الإنسان بنفسه وابن خبره . .»(٣)

فأراه هنا قد رَغَّب فى درس اللغة والنحو ، وها هو هنا يتحدث عن الأدب فكأنه جمع اللغة من أقطارها وكلامه عن الأدب والحض على طلبه بذكرنا بما قاله ابن قتيبة فى أدب الكاتب من عزوف شباب عصره عن الأدب وأهله .

ثم اختتم هذا التمهيد بمبدأ أخلاقى تربوى قويم ، ألا وهو الحض على اعتماد الإنسان على نفسه ، والبعد عن التفاخر بعظم الآباء وفخر الجدود . فقال محرضا على درس الأدب . قال الشاعر :

كن ابن من شئت واكتسب أدبا   يغنيك محموده عن النسب(٤)

---

(١) الفاضل ص ٦
(٢) الفاضل ص ٧
(٣) الفاضل ص ٧
(٤) الفاضل ص ٨

خطته أو دوران المادة فى كتابه :

يقول المبرد :

«وسنذكر فى كتابنا هذا أبوابا ـ من كلام العرب ، وبعض ما روى عنها ، ونثرا من أخبارها . ونفصل ذلك بأشعار وأخبار من قديم وحديث وما بينهما ، ونقدم العذر فى تقصير إن وقع فيه ، أو خلل إن الزمه ، فإنا ألفناه من غير خلوة به ، ولا تمييز لما تضمنه ، ونسأل الله توفيقه وحسن معونته ، ونتوكل عليه ونسترشده ، وبه الحول والقوة . .[1]

إن النظرة الفاحصة لهذه السطور القليلة التى تصدرَّت كلامه بعد هذا التمهيد الذى تكلم فيه عن العقل والعلم واللغة والنحو ، نرى هذه المقدمة تكشف لى بأن الكتاب فقد المقدمة المفصلة الكاشفة عن خطة تفصيلية ، وأرى صنيعه هنا مثيل صنيعه فى الكامل .

فهل هذه المقدمة تكشف وتوضح أن الكتاب كان بمثابة محاضرات عامة أو دروس القيت فى قاعة الدرس حسبما اتفق ، لا يجمع بينها غرض محدد ، وإذا كانت كذلك ، فأين هو المستملى ؟ وما هو دور المستملى فى الكتاب ؟ لقد وجدنا للأخفش دورا بارزاً فى الكامل فكان شارحا ومصححا ومفسرا ومعترضا آراء المبرد مستشهدا بآراء المدرسة الكوفية . أم أن مادة هذا الكتاب أشبه بدروس القيت خارج حلقة الدرس بالمسجد الجامع وأنه أملاها على تلميذ من تلاميذه بدلالة قوله (يافتى) . أم أن هذه كانت ضمن أعمال أخرى كان يقوم بتحريرها ؟

فالحق والحق أقول إننى وقفت حائرا أمام هذه العبارة «فإنا ألفناه من غير خلوة به ولا تمييز لما تضمنه .

---

(١) الفاضل ص ٨

فالعبارة الأولى تشير إلى عدم تفرغه كلية لهذا الكتاب ، والعبارة الثانية توضح أن المواد فيه تأتى كيفما اتفق .

صحيح أنه قدم المادة فى صورة أبواب ، وجاء إلى الباب وقسمه فصولا ، ولكن أين المقدمة المفصلة لكل هذا ؟ . . لا نجدها ، مما يجعلنى أجزم بأن الكتاب عبارة عن مقالات فى موضوعات شتى لا يربطها رابط . وإن كانت تدور حول الأدب شعره ونثره وأخبار المعمرين وأشعار المحدثين ، وقدم نماذج للأخلاق الفاضلة والقدوة الحسنة .

وإذا استعرضنا مادة كتابه فى جوهرها لنرى هل دارت فى الإطار الذى رسمه لنفسه وأشرنا إلى ملامحه فيما مضى .

أقول لو أننا ألقينا نظرة فاحصة لمكونات الكتاب لوجدنا فيه شعرا ونثرا وأخبارا من قديم وحديث ومرثية وعظة وحكمة ومثل . وإن دَلَّتْ المادة الوفيرة المتجمعة بين دفتى الكتاب على شيء ، فإنما تدل على غزارة علم وسعة إطلاع وواسع محفوظ .

وإذا أردنا أن نتبع مسيرته مع مادة كتابه ، فنراه قد افتتح الكتاب بحديث أبى الفضل العباس بن الفرج الرياشى بقوله : «قال : روى شيوخنا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يستحسن الشعر ويستنشده أهله ويثيب عليه قائله ، ثم يروى أن شاعرا أنشده مدحا فى الله ومدحا فيه فأثابه على مدحه لله ولم يثبه على مدحه له» . .[1]

ثم تكلم عن القرآن والشعراء[2] ، وابن عباس والخوارج[3] . ثم تكلم عن الحركة النقدية للشعر فى الصدر الأول[4]

(١) الفاضل ص ٩

(٢) الفاضل ص ١٠

(٣) الفاضل ص ١١

(٤) الفاضل ص ١١

ثم استطرد متكلماً عن الرسول ونظرته للشعر والشعراء[1] ثم تسلسل منه للكلام عن الأخلاق الفاضلة ، وضرب مثلاً بأخلاق الرسول صلى الله عليه وسلم للتأسى به ، ومنهج الرسول صلى الله عليه وسلم فى تربية الشباب[2]

وخصص بابا (للنوادر من غريب ولغة) تكلم فيه عن العرب والسلاح ، والنسبة والبدل ، والتصغير ولغات العرب وضمَّن هذا الباب أمثلة مضروبة على لسان الحيوان من واقع البيئة العربية ثم الموازنة بين المتناقضات[3]

ثم خصص بابا للشعر :

جاء فيه بأشعار متخيرَّة وإن دلت على شيء ، فإنما تدل على تخير جميل وذوق وحسن انتقاء . فيها أبيات عن الغزل وفلسفة الحب عند الشعراء الاسلاميين كاشفا من خلالها عن التطور الاجتماعى داخل البيئة الإسلامية فى هذا العهد الإسلامى المبكر .

وقد تضمن الباب إشارة إلى تأكيد مبدأ هام وهو سماع البصريين للأعراب الفصحاء[4]

وفى هذا الباب أيضاً تكلم عن شعراء مغمورين داخل الحركة الأدبية فى بغداد ورأيته عند الكلام عن فن الغزل أنه ضمَّنه كذلك أشعاراً لشعراء إسلاميين وعباسيين . ولم يفته أن يعرج على المدرسة البصرية فرأيته يقول :

(قال الأصمعى : سألت عيسى بن عمر عن التناصف فقال : هو أن تكون العينان مثل الأنف فى الحسن . .[5]

---

(1) الفاضل ص ١٢
(2) الفاضل ص ١٤
(3) الفاضل ص ١٨ إلى ص ٢٣
(4) الفاضل ص ٢٦
(5) الفاضل ص ٢٨

ثم قال وهذا (باب نذكره فى الجود والكرم)[1]

ابتدأ فيه بذكر الأجواد من آل البيت ، ورأيته مفضِّلا بنى هاشم فى هذا المضمار على غيرهم ، حتى إنه جعل التفاضل فى لحن الموالى التابعين لآل البيت .

وهذا ـ فى نظرى ـ يكشف عن حبه للعلويين وتعاطفه معهم ، أضف إلى ذلك معارضة الشعوبية القائلة بأن الكرم سفه وأن الحياة مادة . فمدحوا البخل وذموا الكرم .

ثم تكلم عن أخلاق العربى وكرمه ، ثم الكرم فى المحيط العراقى فى القرن الثانى الهجرى . وأخيرا حسم قضية الجود والكرم بحديث رسول الله صلى الله عليه وسلم حيث يقول : «الله يقول : ابن آدم يقول مالى مالى ، مَالك من مالك إلا ما أكلت فأفْنيت ، أو لَبِسْت فأبْلَيْت ، أو أعطيت فأمضيت . .[2]

ثم عاد للحديث عن أخلاقيات العرب وكرمه ، وأورد شعرا لابن هرمة وشعرا لشاعر من شعراء الحماسة ، وضمَّنه حديثا عن التبادل الوجدانى بين الإنسان والحيوان وحرمة الجار . وضمنه كذلك حديثا عن فلسفة العلاقة بين الناس ، وأن كثرة المال ليست شرطا للكرم . ثم جعل الحديث عن الكرم مدخلا إلى تقديم الشاهد اللغوى :

يقول المبرد :

«وحدثنى المازنى عن أبى زيد قال : وصفت امرأة من سعد امرأة فقالت : إنها لَلَيَّاء العنق ، مِمْذَاق السِّقاء ، مِنهاء القدر ، لَيَّاء العنق : كثيرة

---

(١) الفاضل ص ٢٩

(٢) الفاضل ص ٣٥

الالتفات إلى الأضياف . ممذاق السقاء ، يقول إذا قلَّ لبنها مَذَقَتْهُ بالماء ليتَّسع على أضيافها ، كما قال الشاعر :

نُمِذُّهم بالماء لا لهوانهم ولكن إذا ما قَلَّ شىء يُوسَّعُ

ومنهاء القدر ، أى تعجِّل إنزالها إلى أضيافها ، ونظن أن قولها : مِنْهاء القِدْر من نَهِىء اللحمُ إذا كان نيئا»[1]

ونلاحظ أنه يلح على حديثه عن الكرم ويجعله مدخلا لشاهد لغوى يدور فى نفس النطاق ، ولكنه جاء بشاهد شعرى ، يقول فيه إن العربى يبذل قُصارى جهده فى الكرم ، وأنه لا يبخل بالشىء اليسير ، لأن اليسير إلى اليسير كثير .

ثم عاد متكلما عن الأخلاق من خلال حديثه عن الكرم مقدما الفكر والنحو وأقوال اللغويين ، وقد ضَمَّن هذا الباب نصوصاً شعرية . .[2]

ثم قال : «وقد أفضينا من هذا الباب إلى بعض ما قصدنا له مما يجانس الباب المتقدم»[3]

يعنى أن هذا الباب الذى خصصه بقوله (باب من الشعر)[4] ، إنما هو فى الواقع امتداد للباب الذى خصصه بقوله : (باب نذكره فى الجود والكرم) .

ثم ماذا بعدُ ؟ نراه يقول :

(ونبتدىء بباب من معانى الشعر المستحسنة وبالله الحول والقوة»[5]

(١) الفاضل ص ٣٥ إلى ص ٤٠
(٢) الفاضل ص ٤٢
(٣) الفاضل ص ٤٣
(٤) الفاضل ص ٣٧
(٥) الفاضل ص ٤٣

تكلم فيه عن صفة الدروع ، ونماذج من أمثال العرب ، ثم عاد للكلام عن السلاح ، وضمنًه وصفا حسيا للحيوان ، ونماذج بلاغية ، ووصفا للطبيعة ، ووصفـا للحيوان يدور بين الوصف الحسى والوصف المعنوى ، ثم أعقب ذلك بحديث عن حيوان الصحراء والألغاز والشيب . ثم تحدث عن التبادل الوجدانى بين الإنسان والحيوان .

وبعد أن انتهى من كلامه عن هذه الأبواب قال :

(وقد أتينا من هذا الباب ببعض ما قصدنا له ، وفسرنا ما أتيناه به يغنى عن تشكل فيه ، أو مسألة عنه ، ونرجع إلى باب أخبار وأشعار يشاكل بعضها بعضاً)[١]

فما صنعه أنه جاء بالنصوص وفسرها تفسيرا يغنى عن الرجوع إلى غيره لاستيضاح مسألة ، فهذا الكتاب بنفسه مكتفيا ولطالبه عن غيره مستغنيا .

وجاء فى هذا الباب بحديث لعمرو بن العاص وذكائه ، وكذلك نماذج من أخبار الخلفاء ثم تكلم عن الإنسان الكامل فى نظر الحكماء .

ثم جاء ببـاب قال عنه إنه سيضمنه (من الأخبار المستحسنة التى لا تدخل فى جملة ما نقل منها ، ولا تشاكل ما ذكرنا فيها . .[٢] فهل معنى هذا أن هناك عبرة مستخلصة تتطلب غوصا وراء استكناه كنهها ، وأنها لا تدخل فى جملة ما نقل منها ، وأنها لا تشاكل أيضا الأخبار التى سبق أن ذكرها .

إذن ما هو الجديد فيها ؟

يفيدنـا بأن فيها حديثا عن فلسفة الأيام وحكمتها وتداولها بين الناس وتقلبـاتهـا[٣] أو لأنـه سيضمن الباب رسائل حسنة اللفظ وغريبة المعنى ،

(١) الفاضل ص ٤٩

(٢) الفاضل ص ٥٤

(٣) الفاضل ص ٥٦ ، ٥٧

متضمنة لبلاغة العظة ؟ . أرى ذلك لأنه يقول : وهذه رسالة نذكرها ، فإنا استحسنا ألفاظها واستغربنا معانيها ، ووقفنا على إبلاغ عظاتها[1]

ثم خصص بابا للمراثى البليغة والعظات الموجزة والأبيات المستحسنة ويقدم لنا نموذجا من رثاء أخت عمرو ذى الكلب ترثيه فى كلمة وصفته فيها فأطنبت ، وعَدَّدَت فضائله فأكثرت ، وذكرت عُظم فقده ، ومبلغ قدره فى حياته ، وانحطاط كل فخر وذكر بعد موته وهو :

يا من بمقتله زُهى الدهرُ　　قد كان فيك تضاءل البدرُ

. . . الخ . ويعقب المبرد على المقطوعة بقوله :

«وهـذا من أحسن المعـانى وألطفها[2] ، ويقول أيضا عن القصيدة : (. . . وفى هذه القصيدة من حر الكلام وصادق المدح قولها :

وخرق تجاوزت مجهوله　　بوجناء حَرْفٍ تشكىَّ الكلالا

ويعلق عليها بقوله : «إنها من أحسن المعانى وألطفها ، وفيها من حر الكـلام وصادق المدح» ، فكأنه نفذ إلى بواطن النص : لفظ جيد ومعنى لطيف ومدح صادق . فهذا النص استوفى الأركان فى نظر النقاد . ولكن ماذا بقى للدارسين ؟ ، فإنه أراد أن يعمق فى نفس تلميذه وقارىء كتابه وأن يجعله يركز على العبرة المستفادة . أو بتعبير أدق يحاول أن يجعل تلميذه يغوص فى أعماق النص لاستخلاص جوهره .

فنراه يقول : «ومما اخترناه منها قولها :

وَخَـوفْ وردت وثـغـر سددت　　وَعِـلْـج شددت عليه الحـبـالا
ومـالٍ حويت وخـيل حميت　　وضـيف قربـت يخاف الـوكِـالا
وأبـراد عَصْـبٍ وخَـطِّيةٍ　　بنـيت لقـومـك منهـا الـظِّلالا

(١) الفاضل ص ٥٩

(٢) الفاضل ص ٦٠

ثم خرج منها إلى مرثية لامرأة من بنى أسد ترثى ابنها :

لَنِعِمَ الفتى أضحى بأكفاف حائلٍ
قرى للصفيح البيض والأثـل السمِـر
لَعَـمْـرى لَقَـدْ أَرْديت غير مُزَنَّـدٍ
ولا مُغْـلِقٍ بابَ السَّـماحـةِ بالعـذرِ
فتـى لم يزل مذ شَدَّ عقـدَ إزاره
مُشـيدَ مَعـالٍ أو مُقـيما على ثَغْـر
فتـى لم يكـذِّب فعـلُه نادِبَـاتِـه
بما قلن فيه لا ولا المـادح المُـطْردى
أرادوا ليخـفـوا قبره عن عدوِّه
فَطَيبُ تراب القـبر دَلَّ على القـبر

(فيقال إن هذا أرثى بيت قالته العرب)[١]

إلى أن يقول :

وقال آخر :

(هاتوا فتى يكفى مقام محمد هيهات ذلك واحد لا يُوجَدُ

ويعقب بقوله :

«وهذا من الأبيات النادرة ، وكذلك سبيلنا فيما نحكيه فى كتابنا»[٢]

وإذا أراد أن يعطينا نموذجا تطبيقيا ، فإنه يأتى بنموذج مماثل لما عرضه ، ويقدم بين يديه بقوله : «ويشاكل هذا الباب ، قول عمارة بن عقيل لخالد ابن يزيد بن مزيد :

---

(١) الفاضل ص ٦١

(٢) الفاضل ص ٦١

أرى الـنـاس طُرًّا حامـدين لخالـد وما كلُّهم أفضت إليه صنـائعه
ولـن يترك الأقـوام أن يحمـدوا الـفتى إذا كرمـت أعـراقُـه وطبـائـعه
متـى أمـعـنـتْ ضراؤه فى عدوه وخصَّتْ وَعَمَّتْ فى الصديق منافعه[1]

ومن هذه النـماذج التـطبيقية التى يُقصد منها تعميق قدرة البحث والتقصى والغوص لاستخراج جوهر ما يهدف إليه القائل ، قوله فى باب المشاكلة :

«وهذا نظير ما يروى»[2] قالها تعقيبا على قول سيدنا عمر بن الخطاب للخنساء فى بكائها على السادات من مضر :

يقول المبرد : وحدثنى الرياشى فى اسنادٍ ذكره قال قال عمر بن الخطاب للخنساء : (ما أقرح مآقى عينيك ؟ قالت : بكائى على السادات من مضر . قال : ياخنساء إنهم فى النار . قالت : ذلك أطول لعويلى .

ويروى أنها قالت : كنت أبكى لصخر على الحياة وأنا أبكى له اليوم من النار . وهذا نظير ما يروى أن عمر بن الخطاب رحمة الله عليه ـ قال لمتمم بن نويرة حين سمعه ينشد فى أخيه مالك :

لا يُمسِـكُ العـوراءَ تحت ثيابـه حُلُو شَمائِـله عفـيف المئـزر
ولنعم حشـوُ الـدِّرع كنت وحاسرا ولـنـعـم مأى الـطارق المتنـوِّرِ

لوددْتَ أنك رثيت أخى بما رثيت به أخاك ، فقال له : يا أبا حفص ، لو أن أخى صار حيث صار أخوك ما رثيته ، يقول : إن أخاه شهيدا . فقال عمر : ما عزَّانى أحد بمثل تعزيته[3]

---

(١) الفاضل ص ٦٢
(٢) الفاضل ص ٦٣
(٣) الفاضل ص ٦٢ ، ٦٣

فهذا النص يعرض علينا ذهنا مستضيئا ، وعقلية خبيرة واعية ، نستطيع أن تقدم النص مُقارنا بغيره من النصوص . ونحن نعلم أن المقارنة تفتح منافذ التفكير وتطلق العقل من عقاله ليقارن ويستخلص . وأرى المبرد هنا استاذ مناهج تربوية . لأنه يستثير الملكات ويحركها ويوسع من نطاق المناقشة وفى كل فائدة . وكأنى بالمدرسة البصرية وقد تأسى بها المبرد تؤسس للدراسات التربوية المعاصرة أساسا متينا يمكن أن يستفاد منه .

ونعود إلى تفصيل منهجه ، فنقول إنه بعد أن قطع شوطا كبيرا فى عرض مادة كتابه ، أنه جاء بالخطة المتبعة فى كتابه والأسس التى سار عليها فى جمع مادة كتابه . وكنت أود أن تكون هذه الكلمة فى صدر كتابه ، لأنها على الأقل تلقى ضوءاً كاشفا على منهجه . وَإنْ فَقَد الكتاب المقدمة المفصلة ، استمع اليه يقول :

«قال أبو العباس : قصدنا فيما نحكيه فى كتابنا هذا حسن الاختيار وكثرة الاختصار وذكر ما يستغنى به عن غيره ، ويقنع بمثله عن نظيره ، وإنما نذكر فى كل باب أحسن ما روى لنا فيه ، وأطرف ما نمى إلينا فيه ، ولو ذهبنا نستقصى آخر هذا الباب لَمَدَّ بنا الحديث ، وطال بنا القول ، والحمد لله الموفق المعين»[1]

وإذا نظرنا إلى المادة التى جاء بها عقب هذا الكلام نراه يقول :

باب نذكره ونشرح فيه بعض أخبار المعَمَّرين وأشعار العرب المحدثين فى ذم الشيب وفقد الشباب ، ومدح من مدح شيبه ، وذم من ذَمَّه ، ووصف إسراعه إليه وتغييره إياه على كثرة ذلك وتفاوته ، ونفضل ما نحكيه من ذلك ، ولِمَ اخترنا ما اخترناه . وبالله الحول والقوة» .

هذا بيان لما حكاه آنفا ، وتطبيق عملى عليه ، وإذا نظرنا فى الكتاب

(١) الفاضل ص ٦٨

محللين ومحـاولـين تتبـع مسـيرته فى جمع مادة كتابه ، فنرى أنه جاء بأخبار المعمَّرين وذم الشيب وفقد الشباب . . الخ وذلك عقب الباب الذى خصصه للمراثى .

وكان المفروض أن يكون باب شعر المراثى بعد أخبار المُعمَّرين لأن هذا هو التسلسل المنطقى . قال تعالى : ﴿ومن نعمره ننكسه فى الخلق أفلا يعقلون﴾[1]

أم أنه نظر إلى الأمر نظرة برؤية أبعد ، على أساس أن الهِرَم والشيب نذير وأنه موت بطىء ، فكأنه عالج القضية من وجهة نظر نفسية ؟ . . وإذا كان ذلك كذلك فإنى أعتبر المبرد - من وجهة نظرى - من رواد المدرسة النفسية والتى تتخطى حواجز الزمن بمنظور آخر ورؤية فلسفية .

أم أنه شرح فى كتابه الموضوع بعد أن اختمرت الفكرة فى ذهنه حسب ما تمليه عليه المادة ، بلا تنسيق مُسبَق ، وبدون خطة مدروسة مرسومة من قبل ؟

والـرأى عنـدى أن هذه موضـوعـات شتى يجمع بينها حسن الاختيار والاختصار ، وذكر ما يستغنى به عن غيره . ويقنع بمثله عن نظيره هذا هو الخيط الدقيق التى يربط هذا السمط المشكل من شعر ونثر وخبر .

فالكتاب يعدم التنسيق والتفصيل وإحكام التبويب ، وما قدمناه يكفى دليلا ، ولكن إذا عدنا إلى ما أورده من أخبار للمعمرين وأشعار المحدثين فى ذم الشيب ومدحه . وفعل الشيب فى النفس البشرية ، لأن الإنسان يحب الحياة ، والشيب نذير لقرب انتهائها .

---

(١) سورة يس ٦٨

وإذا نظرنا كذلك فى هذا الباب محللين لاتجاهاته الفكرية المستخلصة من روح النص ، نراه قد اتكأ فى روايته على الشيوخ الأجلاء ، فأكثر الرواية عن شيخه الرياشى ، عن الأصمعى ، عن أبى عمروبن العلاء . وهؤلاء هم عُمد المدرسة البصرية . فالكتاب - فى نظرى - يبرز أفكار المدرسة ورجالاتها والتأكيد على أصالتها سماعا ورواية .

ومن هذه النماذج ما رواه عن الرياشى .

يقول المبرد : «وحدثنى الرياشى عن الأصمعى عن أبى عمروبن العلاء قال : قيل لشيخ قد ذهب منه المأكل والمشرب والنكاح . هل تشتهى أن تموت ؟ قال لا ، فقيل له . فما تشتهى ؟ قال : أشتهى أن أعيش وأسمع الأعاجيب .[1]

فهل يا تُرى هذا هو سر اتيانه بهذا الباب بعد باب المراثى ، على أن الموت ليس موت الجسد ، وانما هو موت الأمل ؟

ومضى يورد أقوال الأقدمين ، وفلسفة المعمَّرين ، مضيفا إلى ذلك ما قرأه من أقوال الحكماء الأقدمين قال :

(ويروي أنه مكتوب فى الحكمة : مَنْ بلغ السبعين اشتكى من غير علة[2] وأنشد لاسحق الموصلى :[3]

هزئت اسماءُ منى وقالت أنت يا ابن الموصلى كبيرُ
ورأت شيبا علانى فصدَّت وابن ستين بشيب جدير

وبعد أن تقلب الباب فى شعر القدماء والمحدثين مستعرضا فلسفة

---

(١) الفاضل ص ٦٨
(٢) الفاضل ص ٧٠
(٣) الفاضل ص ٧٠ وهامشها .

المعمَّرين وحكمتهم ، جاء بفلسفة العرب فى هذا المجال ، كاشفا عن دقَّتهم ولطافة أذهانهم وغوصهم وراء الفكرة وقدرتهم على الوصف الدقيق استمع إليه يقول :

قال أبو العباس : كانت العرب تذكر الشيب فى أشعارها إما مدحا وإما ذما ، وشعرهم فى ذمه أكثر منه فى مدحه . ويروى أنه قيل : ما بال شعركم فى الشيب أحسن أشعاركم فى سائر قولكم ؟ قالوا : لأنَّا نقوله وقلوبنا قَرحة[1]

وقال يونس النحوى : ما بكت العرب على شىء بكاءها على الشباب ، وما بلغت به كُنه ما يستحق . ويروى أن بعضهم رأى يوما شيبة فى رأسه فقال : شر بديل وخير مبدول[2]

وعلى كل حال فهذا النص وغيره يكشف عن حب أصيل لدى العربى فى الحياة وأنها أمة متفاءلة وليست متشائمة . وإن كان لى أن أنفذ من خلال النص لاستكنه مرامى المبرد وأهدافه ، فإنى أقول ـ وهذا رأيى ـ أن ذكره لهذا الباب بعد المراثى ، أراد أن يحرك موات قلب الشباب العربى فى القرن الثالث . لأن هناك أمل فى بعث بعد موت ، وفى انطلاقة بعد خمود وسكون .

وإذا نظرنا فى هذا الباب نراه أورد أشعارا لشعراء خاملى الذكر معاصرين له أمثال (مسعود بن بشر) الذى يقول فيه :

وأنشدنى مسعود بن بشر :

قعد الشيب بى عن اللذَّات ورمانى بجفوة القينات

فإذا رُمّتُ ستره بخضاب فضحته طلائع الناصلات[3]

---

(١) الفاضل ص ٧٢

(٢) الفاضل ص ٧٣

(٣) الفاضل ص ٧٤

وعالج من خلال الباب الذى عقده للشيب ، المشكلة الجنسية ، وركز على إبـرازهـا ، وفلسف نظرته إليها ، من خلال حديثه عن الشيب . كما كشف عن آثار الشيب النفسية استمع يقول :

وكـان الخضـاب يستحب ، وقد خضب أبو عبد الله الحسين بن على صلوات الله عليهما . ويروى أن قائلا قال للرضا . أأخضب ؟ قال نعم ، بالحناء والخطر ، ثم قال أما علمت أن لك فى ذلك أجرا ؟ قال : وكيف ؟ قال : ألا تعلم أنها تحب أن ترى منك مثل الذى تحب أن ترى منها ؟ لقد خرج نساء من العفَّة ، ما أخرجهن إلا قلة هيئة ازواجهن لهن»[١]

ثم قال بعد ذلك :

(باب شعر وغريب ولغة) :

جعل وكده أن يسجل فيه ما وصل إليه من شعر وغريب ولغة مروية عن الأعراب الأقحاح وفى تأكيده لدور المدرسة البصرية فى السماع من الأعراب لتنقية ما لديها أو تصحيح مروياتها .

يقول المبرد :

«حدثنى المازنى عن أبى زيد الأنصارى قال : سمعت العرب تقول فى أسماء الدواهى : لقيت منه البرُحَينْ ، والفِتُكَرين والفَتكْرين

قال : وحكيت لى الفِتكرْين ولم أسمعها من العرب وأنشد :

قد كَلَّفت راعيها الفِتَكْرْين   إضمامةٌ من ذَودِنا الثلاثينْ

ولقيتُ منه الدهارس ، واحدها دُهرْس ، وهى الدواهى[٢]

---

(١) الفاضل ص ٧٧ وهامشها : الخطر : ثبات يجعل ورقه فى الخضاب الأسود

(٢) الفاضل ص ٧٨

نماذج لغوية :

وإذا قدَّم نموذجا لغويا (الأضداد) قدَّمه وعليه تطبيقات من نص شعرى فكأن النص الشعرى يقوم عنده مقام وسائل الايضاح فى تعليمنا المعاصر .

يقول المبرد :

وقال أبو زيد :

البَسْل الحرام ، والبسل الحلال ، وهو عندهم «الأضداد ، قال ابن همام السلولى للنعمان بن بشير الأنصارى :

زيادتنا نعمانُ لا تحْرِمَنَّا   تق الله فينا والكتاب الذى يتلو
أيُثْبتُ مازدتم وتُلقى زَيادتى   دمى - إنْ أُحِلَّت هذه لكم - بَسْلُ

يقول : حلال[1]

وتكلم عن طعام الفجأة ، فيقول :

«ويقال لطعام الفجأة : طعام «تُوَبة ، أى ذو حشمة»[2]

ثم يستطرد قائلا ، ويقال لقيت منه الذَّربين والذَرَبيًّا ، والأقوذين والأقْوَريَّات ولقيت منه نبات برِح ، وبنى برح ، وبنات بِئْس ، وبنى بِئْس ، وبنات أوْدَكَ ولقيت منه الأمرَّيْن . .[3] الخ

ثم يستمر مستعرضا أسماء الدواهى عند العرب إلى أن يقول فى نفس الباب

---

(١) الفاضل ص ٧٩ ، ابو حاتم السجستانى ، الأضداد رقم ١٤٣ ص ١٠٤ ط١ بيروت سنة ١٩١٢ ، الأمالى للقالى تحقيق محمد عبد الجواد الأصمعى جـ ٢ ص ٣١٠ ، ٣١١ ط/ ١ الهيئة المصرية القاهرة ١٩٧٥ ، والسمط ٩٢٢

(٢) الفاضل ص ٧٩

(٣) الفاضل ص ٨٠

«وحدثنى التوزى قال : سألت الأصمعى عن الدِّرَفْس والدِّرفْهَ فقال هو الجمل الشديد ، وأنشد للعجاج :

كَمْ قد خسرنا من عَلاةٍ عَنْسٍ كَبْدَاء كالقوس وأخرى جَلْسِ
دِرَفْسَةٍ أَو بازل دِرَفْسْ

وكان الأصمعى لا يعرف الدِّرفس في بيت عبيد الله بن قيس الرقيات وهو يمدح عبد العزيز بن مروان : تُكِنه خِرقة ادِّرَفْسِ من الشمس كليث يُفَرِّج الأعجما فقال : الدِّرفس البعير ، وماله ها هنا موضع ، ولو كان إلىّ لقلت تكِنّه خرقة الدمقس . يعنى الحرير .
وقال أبو العباس : وإنما الدرفس اسم لواء للعجم حملوه يوم القادسية لرستم يقال له بالعجمية (دِرفش كابيان) ، فأعربه عبد الله بن قيس فقال الدرفس[1]

ونظرة تحليلية لهذا النص تكشف لنا عن الحرية الفكرية لدى المدرسة البصرية ، واستسلام لرأى شيخ ، بل إن التلميذ يقول إن الشيخ جانبه الصواب فالحرية الفكرية متمكنة فى الشيخ كما أنها أصيلة فى التلميذ .

أضف إلى ذلك الاقتدار على التحليل والاستنتاج والنقد البنَّاء يقول التلميذ (فقال الدرفس : البعير ، وماله ها هنا موضع ، ولو كان إلىّ لقلت : تكنه خرقة الدمقس) ، يعنى الحرير .
ولكن هنا النص يكشف عن معرفة بلغة الفرس ، ولكن لا أستطيع أن أجزم بدراسة المبرد لها ، إذ الشاهد فى كتبه أنه تثقف ثقافة عربية خالصة . وأن كلمة أو كلمتين فى الكتاب ، لا تعطى مسوغا للقول بدرايته باللغة الفارسية وعلى العكس من ذلك ابن قتيبة ، والذى تكشف كتاباته عن دراسة واسعة متعمقة لأسرار هذه اللغة .

---

(١) الفاضل ص ٨١

كما كشف النص عن حركة التعريب المواكبة لحركة الفتح فشاهد ابن قيس الرقيات يدل على أن التعريب كما كان فى النثر كان فى الشعر أيضا . . ومنذ القرن الأول .

ورأيت المبرد من خلال استعراض أقوال شيوخه عن أساتذتهم ما يقدم فائدة نحوية أو لغوية أو أدبية .

من ذلك ما حدث به التوزى . قال المبرد : وحدثنى التوزى قال : «صحف الأصمعى فى بيت الحطيئة مرة فلم نسمع تصحيفا أحسن منه وهو

أغررتنى وزعمت أنك لا تنى بالضيف تأمُرْ .

أى لا تنى تامُرُ بالضيف ، تأمر بإكرامه وَحُسْن قِرَاه ، والشعر :

اعِزرتنى وزعمت أنك لابن بالصَّيْف تامِرْ»

أى كثير اللبن والتمر .

ورأيته ينفذ من هذا العرض إلى التحليلات اللغوية ويقال شاة لَبِنة» وغنم لِبان ولِبْن وَلُبْن ، ويقال كم لُبن غنمك ؟ وكَم رِسْلها ؟ قال إنه إنما قيل كم لُبْن غنمك ؟ أى كم فيها مما يحلب وفلان لابن وتامر إذا كان ذا لبن وتمر ، وتمرتُ القوم ولَبَنْتُهم ألبِنَهم لبنا ، وقد ألبن الرجل : كثر لبنه ، وتمّرْتَه فأنا أتمِرُهُ(1) إلا أننى وقفت معجبا بأصالة فكر المدرسة البصرية ووفاء تلاميذها

---

(1) الفاضل ص ٨١ ، ٨٢ : والنص ورد فى شرح ما يقع فيه التصحيف والتحريف : تأليف أبى أحمد الحسن بن عبد الله بن سعيد السكرى ، تحقيق عبد العزيز أحمد ص ٩٥ ط/ ١ القاهرة . سنة ١٩٦٣ م .

وأخبرنا ابن الأنبارى عن أبيه ، لعقب خبر الأصمعى ، وأبى عمرو الشيبانى قال : وأنشد الأصمعى بيت الحطيئة : وعزرتنى وزعمت أنك لاتَنى بالصيف تَامُرْ

فقال له أبو عمرو الشيبانى ، ما معنى قولك : لاتنى بالصيف تامر . . قال لاتَنى من الوَنْى اى لا تقصرٍ تأمر ، بإنزال الضيف وإكرامه ، مثل قول الله جل ذكره : ﴿ولا تنيا فى ذكرى﴾

فقال له أبو عمرو : تفسيرك للتصحيف أغلظ على من تصحيفك ، إنما هو

وعزرتنى وزعمت أنك لابنُ بالضيف تامِرُ

لشيوخها وليست معنى الحرية الفكرية والنقد ، التشهير والتجريح ، ولكن التوجيه الصحيح الذى يخدم قضية العلم واللغة ، يقول المبرد .

ولم نقصد فيما نذكره فى هذا الفصل طعنا على الأصمعى ، ولا دفعا لعِلْمِهِ ، وكذلك غيره ، ولكن الشىء بالشىء ، والحديث يجر الحديث . .[1]

وتأسيسا عليه فقد جاء بنماذج (مُصَحَّفَة) لأبى عبيدة[2] مَرْوِيَّة عن المفضل وكذلك للأصمعى عن المفضل[3]

مثال ذلك قول المبرد :

حدثنى التوزى عن أبى عبيدة ، قال أنشدنى المفضل :

وإذا ألمَّ خيالها طُرقت عينى فماء شؤونها سَجْمُ

وإنما هى (طرفت) فصَحَّف ، وهى للمخبَّل السعدى .

وقال الأصمعى : هى لطرفة ، وأولها :

ذكر الرباب وذكرها سُقْمُ[4]

ورأيته جاء فى هذا الباب بتطبيق عملى على قوله الذى قاله فى صدر الكتاب قال . وكان ابن عمر يقول : إذا ترك العالم قول (لا أدرى) أصيبت مقاتله .

وقال على رحمة الله عليه : يا بَرْدَها على الكبد من عالم يقول : «لا أدرى»[5]

---

(١) الفاضل ص ٨٢

(٢) الفاضل ص ٨٢ ، ٨٣ ، وينظر شرح ما يقع فيه التصحيف ص ٨٣٦ ، ١٣٤

(٣) الفاضل ص ٨٢ ، ٨٣ ، وتنظر شرح ما يقع فيه التصحيف ص ٧٢ ص ١٣٨ .

(٤) الفاضل ص ٨٢

(٥) الفاضل ص ٨٣

ويقول حاكيا عن التّوزّى قوله :

«وأخبرنى الشيبانى قال : سألت المفضل عن قول متمم بن نويرة :

لعمرى وما دهرى بتأبين هالك ولا جزع مما أصاب فأوجعا

ما التأبين ؟ قال : لا ادرى . والتأبين : نُدبة الميت ، وقال أبو زيد : أبَّنْتُ الميت تأبينا إذا بكيته بعد موته[1]

وكشف المبرد فى هذا الباب أيضا عن الحركة اللغوية فى محيط علماء اللغة وتصحيفاتهم وتصويباتهم بل أستطيع أن أقول إن المبرد قد ألح فى الكتاب على إبراز عقل وحرية الفكر فى المدرسة البصرية يقول المبرد : وحدثنى التوزى قال :

شهدت الأصمعى ، فقرأ عليه رجل ما فى بعيرى هاتَّةٌ فَجوَّزها له . ومضى الرجل فرددت على الرجل فقلت : إنما هى هانَّةٌ ، والهانَّةُ الشحم ، فسكت الأصمعى وما أجابنى بحرف .

ولم يكتف المبرد بمثال واحد ، بل جاء بمثالين آخرين :

يقول المبرد :

وقال[2] : شهدته أيضا وقرأ عليه رجل ، ما سمعنا العام قابَّةً . . قال الأصمعى يريد صوت الرعد ، من القبيب ، فقلت له : إنما قَابَّةٌ قطرة المطر ، يقال : ما سمعنا العام قابة ، أى قطرة مطر . . وكان كيسان وابن أبى يحيى الغنوى حاضرين فوافقانى ـ فسكت الأصمعى .

فالنص يشهد بأن المعارضة للأستاذ الأصمعى لم يكن فى خلوة ، بل كان

---

(١) الفاضل ص ٨٣

(٢) قصيد به التوزى

فى معرض من الناس والعلماء عليه شهود ، أضف إلى ذلك عظمة الأستاذ إذ عرف الحق فلزمه .

كما كشف الكتاب ـ فضلا عن ذلك ـ عن حب العلم والرغبة فى الاستزادة والمتأصلة فى التلاميذ فهم يتبعون مجالس الاساتذة إما حضورا متلقين وإما لآثارهم متتبعين من ذلك قوله عن التوزى :

«وحدثنى عن أبى عمرو الشيبانى ، قال : كنا بالرَّقَّة فأنشد الأصمعى :

عننا باطلا وظلما كما تعـ ـنز عن حَجْرَةِ الرَّبيض الظِّبَاءُ

فقلت له : «تعتر من العتيرة» والشعر للحارث بن حِلِّزة ، وأصل ذلك أن العرب كانوا إذا بلغت إبل الرجل ألفا فقئوا عين الفحل لتدفع العين عنها ، فهو المفقأ يا فتى ، وإذا زادت على الألف فقئوا العين الأخرى ، فهو المعمِى . . (الخ)[1]

وبعد أن قطع شوطا كبيرا فى مجال الدرس اللغوى رواية وتوثيقا ختمه بكلام عن المذهب الحيوى عند العرب .

ثم ذكر بابا قال عنه (باب نذكره من باب إحالتهم بالذنب على غير المذنب فمن ذلك أنهم كانوا إذا امتنعت البقر من ورود الماء ضربوا الثور حتى يرد وترد لورزوده ، ففى ذلك يقول أنس بن مدرك الخثعمي :

إنيِّ وقتْلى سُليكا ثم أعْقِله كالثور يُضرب لمَّا عافت البَقرُ

ورأيت من منهج المبرد فى عرض المادة أنه يلجأ إلى أسلوب المقارنة تنشيطا للذهن وتحريكا للملكات العقلية .

---

(١) الفاضل ص ٨٤ ، ٨٥

ففى الباب الذى ابتدأ . بذكر إحالتهم بالذنب على غير المذنب وقدم نمـوذجا من عالم الحيوان . عاد وقدم التطبيق من عالم الإنسان . يقول : «ويدخل فى هذا الباب قصة صحر التى يضرب بها المثل ، وهى صحر بنت لقمان ابن عاد ، وكان لقمان تزوج عدَّة نساء كلهن خانتْه في نفسه ، فقتلهنَّ ، فلما قتل أُخراهن ونزل من الجبل ، كانت صحر ابنته أوَّل من لقيه ، فقتلها وقال : وأنت أيضا امرأة ، فضرُب بها المثل[1]

وبالنظرة المستأنية المتأصلة فى هذا الكلام يتضح لنا أن المبرد قدم لنا لمحة عن الدراسة السيكلوجية فى عصره ، وأنه جاء بهذا الحديث عقب كلامه عن الخرافة عند العرب .

صحيح أن الأحـداث وقعت فى قديم الـزمـان عنـد العرب ، ولكن التحليل والتفسير للحدث كان حديثا عند علماء القرن الثالث ، ذلك لأن عقد المقارنة واستخلاص النتائج تتطلب وعيا وإدراكا وعمق نظر .

وإذا نظرنا فى النص فاحصين تراه يحمل مغزى بعيدا ، فالنص يقدم صورة الظلم فى عصره ، وأن البرىء قد يؤخذ بجريرة الظالم .

ولما كانت هذه سمة عصره والظاهرة المتفشية فى الحاكمين .

فإنه غمز حكام عصره ، وجاء بالمطلوب فى ثنايا الكلام عن الخرافة عند العرب وأرى ذلك تَقِيَّةً وَرَهَبا . . يشير من بعيد ولكن على الطالب اللبيب أن يغوص ويدرك المستور الذى تحت السطور .

وأرى أن عرض هذه القصة لا مجال لها هنا ، لأن الحديث عن اللغة وليس كما يقول الحديث يجر بعضه بعضا ، ولكنها لمحة سياسية ذكية .

وعاد المبرد قائلا : قد ذكرنا من هذا الباب صدرا نخاف على قارئه الملال

(١) الفاضل ص ٨٦

إنْ أطلناه ، ونحذر من ضجر يلحقه إن أسهبنا فيه ، ويكفى من القلادة ما أحاط بالعنق ، ونعود إلى الأخبار والأشعار يشبه بعضها بعضا وبالله التوفيق[1]

فهل يقصد بذلك الحديث المسهب عن اللغة الذى امتد قرابة تسع صفحات أم أنه اكتفى بالتلميح عن التصريح ، ويخاف أن يزيد أو أنه اكتفى بالاشارة عن العبارة ؟

أرى ذلك هو الهدف البعيد الذى يرمى إليه المبرد ، ولكنى وقفت حائرا أمام هذه العبارة التى جاءت فى النص السابق : «ويكفى من القلادة ما أحاط بالعنق» . فأراه - وإن لم أبعد - يرمى إلى أنه قدم الإشارة والتلميح لواقعه السياسى المريب ، وأن فى هذه الشذرات الكفاية كل الكفاية للدارس الواعى البصير .

ثم تكلم فى باب الحلم والأناة ، عن قواعد الأخلاق ، وأن الحلم سيد الأخلاق وأن المرء قد يبلغ بالحلم فوق ما يناله بالشدة . وتكلم فيه عن معاملة المحكومين للحاكمين . وفى كلمة معاوية لأبى الجهم الأموى : يا أبا الجهم إياك واغضاب الملوك ، فإن لهم غضبا كغضب الصبيان ، وبطشا كبطش الأسْد[2]

وضَمنَّ الباب حديثا للرسول صلي الله عليه وسلم :

«إياكم ومشارَّة الناس ، فإن المعاير تدفن الغُرَّة وتظهر العُرَّة .

كما قدم نظرات نقدية مستخلصة من مقارنة النصوص لاتفاقها فى المضمون .

---

(١) الفاضل ص ٨٦

(٢) الفاضل ص ٨٧

يقول المبرد :

وقال رجل من بنى حنيفة يرثى أخاه :

صمَوت فى المجالس غير عِىّ جدير حين ينطق بالصواب

ويفسره بقوله :

«صموت فى المجالس غير عى ، نظير قول ابن كناسة فى إبراهيم بن أدهم الغنوى

رأيتك لا يُغنيك ما دونه الغنى وقد كان يَغْنى دون ذاك ابن أدهما

وعرض علينا نماذج لأهل الحلم منهم الأحنف بن قيس ، وحلم معاوية ابن أبى سفيان . . الخ[1]

وخصص بابا سماه (باب الشكر للصانع) :

افتتحه بحديث للإمام على بن أبى طالب رضى الله عنه ، ثم عَقَّبَ بحديث رسول الله صلى الله عليه وسلم ، «إن الله عز وجل ليحمد العبد إذا قال الحمد لله . .[2]

ثم قدَّم نصا لأحد الشعراء المحدثين وهو محمود الوراق ، مُظهرا تأثره بالحديث الشريف ، يقول المبرد بعد إيراده لنص الحديث ، «ولذلك قال محمود الوراق فى هذا المعنى :

إذا كان شكرى نعمة الله نعمة عَلىَّ له فى مثلها يجب الشكر
فكيف بلوغ الشكر إلا بفضله وإن طالت الأيام واتصل العمر
إذا مسَّ بالسرَّاء عَمَّ سرورها وأن مُسَّى بالضراء أعقبها الأجرُ
وما منهما إلا له فيه نعمة تضيق بها الأوهام والبر والبحر

(١) الفاضل ص ٩٣

(٢) الفاضل ص ٩٥

ويعقب المبرد على النص تعقيبا يكشف به عن مذاق نقدى فنراه يقول :

(فهذا معنى لطيف ، يعنى أن الله عز وجل لا يُحمد إلا بتوفيق يجب أن يحمد على توفيقه ، ثم وجب فى الحمد الثانى ما وجب فى الحمد الأول ، ثم إلى ما لا نهاية له[1] وإذا نظرنا فى النص نرى فى تعقيب المبرد تأثرا بالاتجاهات الفلسفية فى قوله : «ثم إلى مالا نهاية له» .

وعاد فقدم نموذجا لشكر يدور عن حديث داود عليه السلام ، ثم نماذج شعرية لمحمود الوراق تدور فى هذا الفلك ، وأورد نموذجا آخر يشير فيه إلى حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم قال :

«قال لى جبريل عليه السلام : من أسديت إليه معروفا فكافأ فذاك ومن عجز عن ذلك ، فأثنى فقد كافأ»[2]

ثم إنه ختم الباب بقوله :

«قد أردنا أن نصل كتابنا بما شرطناه على أنفسنا من ذكر ما ينتفع به مَنْ يأخذه عنا ، وينشره من ينسبه إلينا ، وقد أتينا منه بعض ما أردنا وقصدنا ، وكرهنا الإطالة ، وخفنا على قارئه السآمة ، وأشفقنا أن يبلغ به حدَّ المجاوزة ، فإن الإكثار سرف كما أن التقصير عجز ، ويروى عن بعض الحكماء أنه قال : من أطال الحديث عَرَّض أصحابه للسآمة وسوء الاستماع»[3]

---

(١) الفاضل ص ٩٥

(٢) الفاضل ص ٩٧

(٣) الفاضل ص ٩٩

خاتمة الكتاب :

ثم وضع النقاط أو الختام للكتاب فقال :

(ونحن خاتمو كتابنا هذا بباب يشتمل على فنون من الآداب ويتضمن بعض ما نستحسنه من الأخبار والأشعار الذى يشاكل بعضها بعضا ، ونضيف إلى ذلك من العظات الموجزة والأمثال السائرة ، والأشعار الموزونة ، وبالله الحول والقوة»[1]

فهذا الختام يتضمن فنونا من الآداب ، وبعض ما يروق له من الشعر الجيد ، وما يستحسنه من الأخبار ، مضيفا إلى ذلك العظة الموجزة والمثل السائر . وعاد ثانية فقال الأشعار الموزونة» . معنى ذلك أنه فى عرضه للنماذج الشعرية ، سيعرض أشعاراً يشاكل بعضها بعضا وأشعارا موزونة أى محقق فيها قواعد النقد الأدبى .

ولكن إذا نظرنا إلى تصرفه مع المادة المتجمعة لديه ، فنرى الباب الذى خصصه لها يشمل فصولا :

١ - فصل فى الحسد
٢ - فصل فى كتمان السر
٣ - فصل فى تفضيل الكبير
٤ - فصل فى الفصاحة
٥ - فصل فى الجمال
٦ - فصل آخر يدور حول فنون شتى .

ونعود فنفصل منهجه فى هذا السبيل :

---

(١) الفاضل ص ١٠٠

ففى الحسد رأيناه يعالج مشكلة أخلاقية ، وداء عضالا وقد ضَمَّنَه أقوالا لمعاوية ، وعمر بن عبد العزيز وقولا لابن المقفع .

وفى فصل كتمان السر تكلم عن أهميته وقد ضمنه استشهادا شعريا لمعاصر له .

يقول المبرد : أنشدنى بعض أصحابنا :

إذا أنت لم تحفظ لنفسك سرَّها　　فسرُّك عند الناس أفشى وأضيع[1]

فالنص يكشف عن الحركة الأدبية فى عصر المبرد وعن أن هناك متنديات أو لقاءات يتم فيها مطارحة الشعر . وكأنى بالكتاب فى جوهرة تصوير للحركة الأدبية المعاصرة له .

وفى فصل تفضيل الكبير ، عالج مشكلة أخلاقية مزمنة ، وهى أنه فى حالة تدهور الأوضاع الإجتماعية فى المجتمع . نرى استهتارا من الشباب بالشيوخ لأن القيم اهتزت وأخذ الصرح يتداعى .[2]

كما ضمنه حديثا عن ألعاب العرب وخبرتهم فى البيطرة ، كما عرض علينا نموذجا للتبادل الوجدانى بين الإنسان والحيوان ، وتكلم فيه أيضا عن الموالى وتقدير الإسلام لهم[2]

٤ - وفى فصل آخر لم يسم له عنوانا ، أورد فيه حديثا لشاعر مغمور (مسعود بن بشر) عن اجتماع الفرزدق وجرير والأخطل والبعيث بباب بشر بن مروان بالكوفة ، كاشفا عن نظام استقباله لهم ، وإنزاله منازلهم ، ثم الكلام عن الحركة النقدية فى القرن الأول .

ثم عرض علينا الموازنة التى قام بها بشر بن مروان كاشفا من خلالها عن دور العصبية القبلية فى ترشيح الأخطل لمكانة سامية .

---

(١) الفاضل ص ١٠١　　(٢) الفاضل ص ١٠٣ - ١٠٥

يقول المبرد : حدثنى مسعود بن بشر فى إسناد متصل قال : اجتمع الفرزدق وجرير والأخطل والبعيث بباب بشر بن مروان بالكوفة فدخل عليه داخل فأخبره بمكانهم ، وأعلمه أنه لم يُر مثلهم بباب ملك قط ، فأذن للفرزدق ثم لجرير ثم للأخطل ، وأمسك عن البعيث فقال له الرجل : إن البعيث معهم ، فقال : إنه ليس كهؤلاء ، ثم أذن للبعيث ، فلما دخل مَثَل بين يديه فقال : أيها الأمير ، إن الناس قد تحدثوا بالباب أنك أذِنت لهؤلاء لفضل رأيته لهم علىّ ، قال : أوَما تعلم ذاك ؟ قال : لا والله ولا الله يعلمه ، قال : فأنشدنى (قال) :

أوَ أخبرك من معايبهم بما تستغنى به عن الإنشاد فقال : هاتِ ، قال : أما هذا القرد - يعنى الفرزدق - فقد قال فى هجائه ابن المراغة - يعنى جريرا :

فمالك بيت الزِّبْرقان وَظِلِّه ... ولا لك بيت عند قيس بن عاصم
بأىّ رشاءٍ ياجرير وماتحٍ ... تَدَلَّيتَ فى تلك البحور الخضارم

فجعله تَدلىَّ عليهم ، وإنما أتاهم من تحتهم لو كان يفعل .

وأما هذا يعنى ابن المراغة - فقال فى هجائه هذا القرد يعنى الفرزدق :

لَقومِى أحمى للحقيقة منكمُ ... وأضربُ للجبار والنقع ساطع
وأوثقُ عند المرهفات عشية ... لحاقا إذا ما جرد السيف لامع

فجعل نساءه قد أردفن ، وفضحهن وَوَثقن باللحاق .

وأما هذا الكافر - يعنى الأخطل - فقال فى وقعة نجا منها أسيرا ، وأقر على نفسه وقومه بالذل :

لقد أوقع الجحاف بالبشر وقعة ... إلى الله منها المشتكى والمعوَّل

فوصله يومئـذ وحَـرمَهم ، فحلف جرير أنـه لم يقـل : «وأوثق عنـد المردفات» ، وإنما قال : «غند المرهقات»[١] . . . الخ .

ثم كشف المبرد عن الحركة النقدية فى القرن الأول والقرن الثانى . وأن هؤلاء الشعراء الثلاثة شغلوا الفكر والنقاد يقول المبرد :

(وقيل لبشر بن مروان : أيها أشعر ، جرير أم الفرزدق أم الأخطل ؟

فقال : والله ما كان الأخطل مثلهما ، ولكن أبت ربيعة إلا أن تجعله ثالثا قال أجـرير أم الفـرزدق ؟ فقـال : إن جريرا سلك أساليب من الشعر لم يسلكها الفرزدق ، ولقد ماتت النوار وكانوا ينوحون عليها بشعر جرير . وكان الأصمعى يقـول : قال ابـو عمـرو بن العـلاء : الأخطل ثم الفرزدق ثم جرير ، وكان أبو عبيدة يقول بمثل قول أبى عمرو . . الخ[٢]

وبعـد هذا العرض المتضمن نقدا لشعراء فحول العصر الإسلامى ، نرى المبرد يتكلم عن الفصاحة والذى قلَّب الحديث عنها فى نطاق المدرسة البصرية بين الرياشى والأصمعى ، وتكلم عن مواطن الفصاحة .

كما تكلم كذلك عن المثل الحوارى والمثل الدائر فى نطاق الأسطورة وفى كلامـه عن الفصـاحـة كشف عن العصبية القبلية . (وحدثنى هارون بن عبد الله المهلبى ، قال حدثنى نصر بن على بن عبد الله عن أبيه

ـ وكان أبوه قرين سيبويه ـ قال سمعت الخليل بن احمد يقول : أفصح الناس أزد السراة .[٣]

ولا يخلو هذا الكلام من عصبية قبلية فالمبرد أصله أزدى يمنى . وحتى فى كلامه عن مواطن الفصاحة بحد إشارة إلى الأزد :

---

(١) الفاضل ص ١٠٦ ـ ١٠٨

(٢) الفاضل ص ١٠٨ ـ ١٠٩

(٣) الفاضل ص ١١٣

يقـول : «وحـدثنى هارون عن نصر بن على عن الأصمعى قال : سمعت أبا عمرو ابن العلاء يقول : أفصح الناس سافلة قريش وعالية تميم قال : وكنا نسمع أصحابنا يقولون : أفصح الناس تميم وقيس وأزد السرَّاة وبنو عُذرة»[1]

وعـرض أمـرا أراه غريبـا ، هذا الأمـر مؤداه إلى أن هنـاك قرينة بين الفصاحة فى الكلام والتأنق فى اللباس ، قال :

«وحدثنى على بن القاسم الهاشمى قال : رأيت قوما من أزد السراة لم أر أفصح منهم ، وكانوا يلبسون الثياب المصبغة ، قلت لأحدهم : ما حملك على لبس المصبغ ؟ قال : ابتغاء الحسن .

فهل هناك علاقة بين الفصاحة فى الكلام والتأنق فى اللباس ؟ أم أن ابتغاء الجمال فى الكلام ينعكس أثره على التأنق فى الرداء ؟ ازاها لفتة ذكية من المبرد للكلام عن الجمال فى الجوهر والشكل . .

وتكلم عن معيار الفصاحة واللسَّن نراه يقول :

قال أبو العباس : وكل عربى لم تتغيرَّ لغتُه فصيح على مذهب قومه وإنما يقال بنو فلان أفصح من بنى فلان ، أى أشبه لغة بلغة القرآن ولغة قريش ، على أن القرآن نزل بكل لغات العرب»

ويروى عن ابن عباس أنه قال : كنت لا أدرى ما الفتاح حتى سمعت ابنة ذى يزن تقول لخصم لها : هَلُمَّ فاتحنى ، أى حاكمنى فعلمت أن الحاكم الفتَّاح[2]

---

(١) الفاضل ص ١١٣

(٢) الفاضل ص ١١٣

وعرض علينا كذلك المثل الحوارى قال :

«وحدثنى على بن القاسم قال : قلت لأعرابى فصيح : ما معنى قولهم فى المثل : «كاد العروس أن تكون أميرا»[2] (لِمَ كاد ذاك ؟ قال : لأن الأكفاء يخدمونها فى تلك الحال» .[3]

وتكلم عن المثل الدائر فى نطاق الأسطورة ، من ذلك قوله :

ومن أمثالهم ـ روى ذلك أبو عبيدة ـ أن ابليس تصور لابنة الخُسّ فقال لها : أسألك أو تسأليني ؟ فقالت له : سل ، قال لها : كاد ، فقالت (كاد النعام أن يطير) ، فقال لها : كاد ، قالت : (كاد المنتعل أن يكون راكباً) قال لها : كاد ، قال : (كاد العروس يكون أميرا) . . الخ[4] فالمثل سواء أجاء على الصورة الحوارية أم على الصورة الأسطورية فانه تضمن قاعدة نحوية وهى جواز اقتران كاد بأن :

فصل آخر فى الجمال :

وهو ـ فى نظرى ـ أول من أفرد فصلا فى كتاب عن الجمال ، فهل ياترى يرجع ذلك إلى عشقه للجمال ، علما بأنه شهد له به ؟ فانعكس ذلك على نفسه ، فتعشق كل ما هو جميل فى اللفظ والشكل الحسن .

بل أراه سبق المحدثين فى بيان نسب الجمال فقال :

«يروى عن ابن كناسة قال : الجمال فى الأنف ، والحسن فى العينين ، والملاحة فى الفم . .[1]

---

(١) الفاضل ص ١١٦

(٢) مجمع الأمثال : لأبى الفضل الميدانى تحقيق محمد أبو الفضل ابراهيم جـ ٣ ص ٥٠ ط/ ١ القاهرة ١٩٧٩

(٣) الفاضل ص ١١٥

(٤) الفاضل ص ١١٥

وتكلم عن الجمال فى الرجال وفى النساء فقال ، «وكان يقال : «إن الجمال كان فى قريش فى ثلاثة : مصعب بن الزبير ، وطلحة بن عبيد الله ، وعمرو بن سعيد بن العاص ، إلا أن ابن قيس الرقيات قال لما أنشد عبد الملك :

يعتقد التاج فوق مفرقه　　على جبين كأنه الذهب

فقال : أما مصعب بن الزبير فتقول فيه :

إنما مصعب شهاب من الله تجلَّت عن وجهه الظلماءُ .

ويروى أنه كان يقال له الدِّيباج . وكان يقال : لم يُرَ أزواج قط أحسن من ثلاثة : عائشة بنت طلحة ، ومصعب بن الزبير ، ولبابة بنت عبد الله والوليد بن عتبة ، وجعفر بن أبى طالب وأسماء بنت عُمَيس الأمانة فى الرواية .

كما كشف كلامه عن الجمال عن الأمانة عنده فى فن الرواية قال :

«ويروى أن عبد الله بن جعفر ، والحسين بن على ، وعبد الله بن عمر ، ومصعب بن الزبير وجَّهُوا بحُبَّى المدَنية إلى أربع نسوة تخطبهن لهم : عائشة بنت طلحة ، وسكينة بنت الحسين ، وأم البنين ، وأمرأة ذهب عنى اسمها . .[1]

فهو لم يخترع اسما وإنما ذكر ما يعرفه وهذه أمانة فى الرواية .

وأما عن الجمال ومتاعبه

يقول المبرد : «وقال الهيثم بن عدى : أخبرنا يونس بن اسحاق قال :

---

(١) الفاضل ص ١١٨

كان الجمال من أهل الكوفة فى ثلاثة نفر :

الأشعث بن قيس الكندى ، وعدى بن حاتم الطائى ، وجرير ابن عبد الله البجلى ، فدخلت مأدبة فى السَّبيع فرأيت هؤلاء الثلاثة ، فما رأيت بيض نعام ولا طريدة ظبى ، ولا تمثالا إلا ما رأيتُ من هؤلاء الثلاثة أحسن .
وقال الهيثم : وكل أعور . قال يونس :

فأما الأشعث بن قيس فأصيبت عينه يوم اليرموك ، وأما عدى بن حاتم فأصيبت عينه يوم الجمل ، وأما جرير فأصيبت عينه بهَمدان»[٢]

وأخيراً ختم كتابه بالحض على الصلاة على أساس أنها عماد الدين .

وجعل مدار حديثه قول النبى صلى الله عليه وسلم :

«حُبِّبت إلىَّ النساءُ والطيبُ وجُعِلَتْ قُرَّةُ عينى فى الصلاة» ، وقال بعض الأعراب : إنى لأعشق الرزق وإنه ليبغضنى» وقال محمد بن واسع ما بقى شىء أهواه وألذه إلا الصلاة»[٣]

صحيح أنه افتتح الفصل بالكلام عن الجمال والحب والدلال والعشق ولكن الجمال الباقى الخالد ، هو صلة الإنسان بخالقه ، ولا رباط يربط العبد بربه أفضل من الصلاة .

وإذا كان المبرد قد بدأ كتابه بالحديث عن العقل وقيمته والعلم وأهميته وختم الكتاب بالحض على الصلاة . وإذا كانت المعتزلة تعتز بالعقل فالمبرد هنا يربط بين العقل والعلم والدين ـ وهو فى نظرى ـ أسبق من تكلم فى صلة العلم بالدين ، ويرى أنه لا انفصال بين الاتجاهين .

---

(٢) الفاضل ص ١١٩
(٣) الفاضل ص ١٢٤

الفصل الثانى

السمات والظواهر التى اتسم بها المنهج

الظواهر أو السمات التى اتسم بها بمنهج المبرد فى الفاضل :

من العرض السابق يتضح لنا أن المنهج الذى سلكه المبرد فى الفاضل منهج يتسم بظواهر ثلاث : الأولى الاستطراد ، والثانية خلط اللغة والنحو بفنون أخرى ، والثالثة ظهور روح المرح والفكاهة فى الكتاب .

فأما عن المنهج الاستطرادى ، بمعنى أنه ينتقل من موضوع إلى موضوع آخر ثم يعود إلى الموضوع الأول لاستكماله موفيا إياه شرحا وإيضاحا .

وقد يستغرق فى شرح ما جاء به . وعليه فإن الموضوع بهذه الطريقة يفقد أهم عناصره وهو عنصر الترابط والوحدة الموضوعية .

وأرى أن ما قاله احمد امين فى شأن الكامل ينصرف إلى كتابه الفاضل لأنه «يمثل الثقافة العربية . ونتبين منه الاتجاهات المختلفة لهذه الثقافة ، وأن نظرة المعلمين فى ذلك كانت نظرة فردية ، فالموضوع الواحد كالسؤدد عند العرب مفرق فى ثنايا الكتاب من أوله إلى آخره ، لا يجمع الباب ولا الكتاب . إلا أنه مختار فيه معنى جميل أيا كان وفيه لغة ونحو ، فإما أن يكون اثبات المديح فى جانب والذم والرثاء ونحو ذلك فى موضوع واحد فليس هذا شأن الكتاب ، ولا شأن معلمى العصر»[1]

وإذا عدنا إلى الفاضل نرى أن هذا الكلام ينطبق عليه تمام الانطباق وأضرب لذلك مثلا ، الكرم عند العرب[2] ، والحض على مكارم الأخلاق مع الاشادة بخلق الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم»[3] فذلك موزع فى ثنايا الكتاب داخل فى موضوعات أخرى .

---

(١) احمد أمين : ضحى الإسلام جـ ١ ص ٣١٨ ط/ ٧ القاهرة ١٩٦٤

(٢) الفاضل : ص ٢٩ ، ص ٣٠ ، ص ٣٤ ، ص ٣٧ ، ص ٣٨ ، ص ٣٩ ، ص ٤١ ، ص ٤٢ .

(٣) الفاضل : ص ٧ ، ص ٨ ، ص ١٤ ، ص ١٥ ، ص ١٦ ، ص ١٧ ، ص ٨٦ ، ص ٨٩ ، ص ٩٧ .

وقد وضح لنا فى عرضنا لمنهجه أن ثقافته عربية ، ولا يعنى أنه تكلم عن أردشير[1] وبزجمهر[2] أنه تثقف ثقافة فارسية ، ولكنه فى نظرى محصول علمى عام .

وتحدث عن الموالى فى زواج الحسين بن على بابنة يزدجرد ملك الفرس . .[3]

ويرجـع الاستـاذ احمد أمين هذه الفوضى فى التآليف اللغوية فى هذا العصر على أساس أن الثقافة العربية فى عصرنا الذى نؤرخه من لغة وأدب وتـاريخ ونحـو كانت فى أول دورهـا من حيث الـترتيب والتبويب ، فنرى الفوضى فى كتب اللغة المؤلفة فى ذلك العصر كما رأينا فى كتاب الكامل ، ولم تجتز الثقافة العربية هذا الدور إلا بعد أن انتهى عصرنا أو كاد[4]

وما قاله أحمد امين ينطبق على الفاضل للمبرد ، ويبنى الأستاذ نظرته هذه على أساس أن الثقافة اليونانية قطعت شوطا طويلا ، ومرت بأدوار طبيعية للعلم من بحث فى مسـائـل متفـرقـة ، فتنـظيم وتبويب ، وجمع للمسائل المتشـابهـة وقـواعـدها فى باب واحد ، وصلت إلى المسلمين بعد أن هذبها المنطق ، ورتبتها الأجيال المتعاقبة من فلافسة اليونان[5]

وأما ما قاله احمد أمين فى ضحى الإسلام عن تأثر الأدب العربى بالأدب اليونانى وأثر ذلك فى الكامل والبيان والتبيين للجاحظ فانى أرى ذلك ينصرف إلى الفاضل لأنه يسير فى نفس الدائرة التى دارت فيها تآليفه يقول :

---

(١) الفاضل ص ١٤

(٢) الفاضل ص ١٢٣

(٣) الفاضل ص ١٠٥ ، ص ١٠٦

(٤) ضحى الإسلام جـ ١ ص ٣٢١ .

(٥) ضحى الاسلام جـ ١ ص ٣٢١

«وأما الأدب فلم يتأثر كثيرا بالأدب اليونانى ، وهذا ظاهر فيما ألف من الكتب فى هذا العصر فمنهجهـا غريب ، لا يتصـل بسبب إلى المنهـج اليونانى ، فلا أثر للترتيب المنطقى فيه ، ولا نرى وحدة للكتاب ولا للباب ، كما رأينا فى كتاب الكامل للمبرد ، وكما نرى فى البيان والتبيين للجاحظ ، إنما هى جزئيات جمعت حيثما اتفق ، هى أشبه بسمر العلماء والمجالس . فأما موضوع واحد يرتب فيه كل ما يراد أن يقال وتسلسل أفكاره ، وتسلمه ألفه إلى يائه بالتدريج ، كما يفعل العقل اليونانى فذلك مالا تجده فى الأدب العربى[1]

وإذا كانت هناك من فوضى أو استطراد فى الفاضل للمبرد ، فإن هذه الظاهرة يُرْجع أحمد امين سببها إلى الجاحظ لأن المبرد فى تآليفه سار على منهج استاذه : يقول عن البيان والتبيين :

(وفى كل فصل من فصول الكتاب ، فوضى لا تضبط واستطراد لا يحد والحق أن الجاحظ مسئول عن الفوضى التى تسود كتب الأدب العربى فقد جرت على منـوالـه ، وحذت حذوه ، فالمبرد تلميذه قد تأثر به فى تآليفه ، والكتب التى ألفت بعد كعيون الأخبار والعقد الفريد فيها شىء من روح الجاحظ ، وإن دخلها شىء من الترتيب والتبويب[2]

ويعلل أحمد امين أن الكتب التى ألفت فى العصر العباسى الأول كانت أساس التأليف ، وهى التى حددت نوع القالب الذى يصب فيه العلم ، فكتاب سيبويه فى النحو حدد الطريقة التى يتبعها النحاة فى التأليف ، وكل ما عملوا بعده وإن أوضحوا أو بسطوا أو اختصروا . وكتب محمد بن الحسن

---

(١) ضحى الإسلام جـ ١ ص ٣٧٠

(٢) ضحى الإسلام جـ ١ ص ٢٧٩

الشيبانى حددت طريقة التأليف فى الفقه وكتب المنطق الأولى هى التى سارت عليها كتب المنطق الأخيرة[1]

ويعنى الأستاذ احمد أمين بقوله هذا أن مؤلفات الجاحظ وخاصة البيان والتبيين تعد بداية على الطريق فى التأليف الأدبى . ورأيته قد حمل الجاحظ فوضى التأليف فى كتب اللاحقين عليه المتأثرين به ، فإن شوقى ضيف نعى على الجاحظ كذلك استطراده والتشتت فى التأليف :

يقول شوقى ضيف :

«وإذا كانت الواقعية عنصرا أساسيا فى أعمال الجاحظ ، فإن هناك عنظرا آخر عَمَّ آثاره ، وربما كان أهم من عنصر الواقعية ، وهو عنصر الاستطراد إذ يلاحظ كل من يقرأ فى الجاحظ ضربا من التشتت فى التأليف ، فهو دائما ينتقل من باب إلى باب ، ومن خبر إلى خبر ، ومن شعر إلى فلسفة ، ومن جد إلى هزل ، فى تشتت هائل حتى يقول كارادى فو : إن الموضوع عند الجاحظ ليس إلا وسيلة للإستطراد ، وأشار إلى هذا الاستطراد قديما المسعودى فى كتابه مروج الذهب[2]

وإذا طبقنا هذا الكلام على الفاضل على أساس أنه ثمرة من ثمار المبرد فإنا نجد صورة الإستطراد فى الفاضل أقل بكثير عن صورته فى الكامل ، ويرجع ذلك ـ فى نظرى ـ إلى صغر حجمه إذا قيس بكتابه الكامل . يضاف إلى ذلك أنه استخدم (أسلوب الإلتفات الخاص به) وهو يافتى فى أثناء درسه مرة واحدة فى الكتاب .

والنموذج الذى قدمه فى الفاضل ، وبدا عليه الاستطراد ، هو موضوع الأخلاق ، الذى تردد فى أكثر من موضوع فى الكتاب . فهل هذا الموضوع

(١) ضحى الإسلام جـ ١ ص ٣٩٢

(٢) الفن ومذاهبه فى النثر العربى : د . شوقى ضيف ص ٦٦ وما بعدها القاهرة ١٩٦٠

هو محور الكتاب الذى تدور عليه مادته ، أو هى الفكرة المختمرة فى رأسه بدليل أنه أعطى الكتاب مسمى (الفاضل) والإنسان الفاضل هو انسان على خلق كريم .؟

لأن الأخلاق فى نظرى هى جماع العقل والعلم والفضل والجود والكرم ، وكل الفضائل والمعارف والعلوم إن لم تحركها الأخلاق ، أو تقوم على أساس منه فلا قيمة لها . فإذا علمنا أنه عصره أو القرن الثالث الهجرى الذى يعيشه عصر مضطرب تداعت فيه الأخلاق والفساد امتد إلى كل شىء ، إلا أنه لم يعدم فريقا من الصالحين اهتموا بالدين والأخلاق .

ونعود إلى موضوعنا وهو الأخلاق ، فرأيته يتكلم على التمسك بالأخلاق الفاضلة ، وأن يُتَّخذ من أخلاق الرسول صلى الله عليه وسلم القدوة والمثل .

يقول المبرد :

(قال محمد بن على بن الحسين بن على صلوات الله عليهم ـ إن الله جل وعز أدَّب محمدا صلى الله عليه وسلم أحسن الأدب ، فقال تبارك وتعالى : ﴿خذ العفو وأمر بالعرف وأعرض عن الجاهلين﴾[٢] ، وتكرر ذلك فى مواضع مختلفة[٣] وجاء ذلك أيضا فى باب الحلم والأناة[٣]

وعاد للكلام عن أخلاق الرسول صلى الله عليه وسلم فى (باب الشكر للصانع) يقول المبرد :

---

(١) الفاضل ص ١٤
(٢) الفاضل ص ١٦ ، ص ١٧
(٣) الفاضل ص ٨٦ إلى ص ٨٩

(ويروى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : قال لى جبرائيل عليه السلام : من أسديت إليه معروفا ، فكافأ فذاك ، ومن عجز عن ذلك فأثنى فقد كافأ[1]

ثم هو فى هذا الفصل تكلم عن أخلاقيات الناس ، وطلبهم للحمد والثناء ولكن فى غير وجوههم يقول المبرد :

. . . وكان الناس يحبون أن يحمدوا على ما أولوا ، وأن يظهروا الشكر لهم على ما قدموا ، وأن يكون ذلك فى غير وجوههم[2]

٢ ـ خلط اللغة والنحو بفنون أخرى :

هذه هى السمـة الثانية الغالبة على منهجه ، وهى خلط اللغة والنحو بفنون أخرى من حكمة ومثل وخبر وموعظة وخطبة . . الخ .

جاء ذلك فى قوله :

وحكى أبو عبيدة وغيره ـ والخبر مشهور ، فى ألفاظه اختلاف :

أن حاتما الطائى لما أقام فى عَنَزَة أن قد فدى أسيرا لهم بنفسه ، غاب الرجال مرة وبقى هو والنساء ، نيط لبعير لهم . فقلن له : قم فافصد هذه الناقة ، وأخذ الشفرة فنحرها ، فلطمته امرأة منهن وسبته ، فقال : «لو غير ذات سوار لطمنى» أى لو لطمنى رجل ! فقلن : أمرناك بأن تقصد فنحرتها فقال : «هكذا فصدى (أنه)» .

وحدثنى المازنى قال : سمعت العرب تقول : «لو غير ذات سوار لطمنى»

---

(١) الفاضل ص ٩٧

(٢) الفاضل ص ٩٧

ويقـول النحـويون : «لـطمتنى» فأخذت قول النحويين وتركت قول العرب[1] فالنص يكشف عن أمور منها ، لغات العرب وتباينها ، فالفصد فى قبيلة بمعنى التشريط ، وعند أخرى بمعنى الذبح ، وكذلك تباين وجهات النـظر بين قول العرب وقول النحويين فى كلمة (لطمنى) ، فالعرب تقول لطمنى للمذكر والمؤنث ، ولكن القياس النحوى يقول لطمتنى على أساس أن التى لطمت أنثى .

ولكن إذا نظرنا فى النص نظرة عميقة نرى الأبعاد النفسية للشخصية العربية إذ لم يحدث من قبلُ أن لطمت أنثى رجلا ، لأن للرجل السيادة وما على المرأة إلا الإذعان . فلما انقلبت الأوضاع وأصبحت اللاطمة أنثى عزَّ عليه أن يقول (لطمتنى) فأرى التحليل نفسيا خارجا عن نطاق النحويين وتخريجاتهم .

أضف إلى ذلك أن ما قاله (حاتم الطائى) بالإضافة إلى شاهد نحوى فى قوله (أنه) ، لأن أنا إذا وقفت عليها قلت أنه ، وأنته) . . الخ . وفضلا عن ذلك أن المازنى يقرر هنا اتجاه المدرسة البصرية فى السماع من الأعراب الفصحاء . . ولكن إذا تعارض ما قاله العرب مع مقاييسهم النحوية أجروا مقاييسهم .

٣ ـ الفكاهة :

وأما الخصيصة الثالثة فهى ظاهرة الفكاهة والروح المرحة فيما يعرضه من أحـاديث تتسم بخفـة الروح ، ولكنها فكاهة هادفة تخرج منها بمعلومة إما نحوية وإما تاريخية . . الخ . فمن ذلك على سبيل المثال .

---

(١) الفاضل ص ٤١ ، ص ٤٢

قصة ابنة الخس والشيطان والتى عرضنا لها فى المنهج . فمما جاء به تعقيبا على المحاورة بين ابنة الخس والشيطان قوله :

«ويروى أن ابنة الخس كانت بليغة فصيحة . وحدث محمد بن سلام عن يونس النحوى قال : النحويون يغلطون فى ثلاثة أشياء ، يقولون فى نكاح أم خارجة : «خِطْب» ، فيقول : «نِكحْ» ، وإنما هو نُكح» ، ويقولون : ابنة الخس وإنما هو ابنة الأخُسّ ، مثل الأرُزّ ، ويقولون : «ليس لحاقن رأى» وإنما هو ذهن . ويقال رجل خَسٌ ورجالٌ أَخُس ، من الخِسة .

وحدثنى المازنى وغيره قال : أم خارجة امرأة ولدت زُهاء عشرين حيًّا من العرب ، وآخر من نكحها عمرو بن تميم ، وذلك أنه أثرها فسبق أهلها الذين أرادوا أن يمنعوه فيها مثل ما يسبق الراكبُ الراجلَ ، فقال لها : خِطب ، قالت : نُكْح فى قول يونس فجاءوها فوجدوها قد تزوجت[1]

وإذا حللنا هذا النص الذى يتسم بالفكاهة والحديث المرح ، تكشفت لنا أمور منها ، اتيان المبرد بهذه الخرافة التى دارت بين ابنة الخس والشيطان والتى تحمل تَصَوُّرًا (فولكوريا) ، كما خرج منها أيضا بقاعدة نحوية ، وهى جواز اقتران جواب (كاد) بأن ، كما تضَمَّن النص هدفا أخلاقيا مؤداه أن صحبة الشيطان تودى بالمرء قال تعالى : ﴿ألم أعهد اليكم يابنى آدم ألا تعبدوا الشيطان إنه لكم عدو مبين﴾[2]

وكشف المبرد من خلال الفكاهة وتعقيبه على الحكاية ما يقع فيه النحويون من أغلاط ويهدف من ذلك إلى تبصرة الناشئة والدارسين ، وحتى يقوّم النص التاريخى . وتحدث عن يونس النحوى من خلال رواية ابن سلام الجمحى

---

(١) الفاضل ص ١١٥ ، ص ١١٦

(٢) سورة يس/ ٦٠

ولكن لما جاء إلى استاذه المازنى ، رأيناه يقدم لنا معلومة تاريخية عن أم خارجة وولادتها زهاء عشرين حيا من أحياء العرب .

وأخيرا قدم المبرد ملحظا جدير بالاهتمام وهو أنه على الدارس أن يستفيد مما يقرأ ، وأن يصحح معارفه التى تصله عن طريق الشيوخ الثقات .

كما تحدث عن الفكاهة كاشفاً من خلالها عن حضور البديهة وأن المرأة الذكية استغلت النص القرآنى للتورية عن قصدها ، كما تكلم عن التصحيف استمع إليه يقول :

«وتحدث عمر بن شبة عن رجاله أن عُلَّية بنت المهدى كانت من أحسن الناس وجها وأتمهن خلقا ، وأسلسهن شعرا ، ولم يكن فيها عيب غير سعة فى جبينها فاتخذت العصائب من الجوهر وغيره ، واستعملها الناس بعدها .

وكانت تحب خادما للرشيد ، يقال لها طَلّ ، فبلغه الخبر ، فحلف عليها ألا تُسمِّى باسمه ، فقرأت يوما : (فَإِنْ لَمْ يُصِبها وَابلٌ) فالذى نهاها عنه أمير المؤمنين (والله بما تعملون بصير) . فبلَغه ذلك فقال : أبت إلا ظَرْفا . وكانت تحب خادما له يقال له رشا ، فصَحَّفَت اسمه وقالت فيه :

وَجَدَ الفؤاد بزينبا ... وَجْدًّ شديدا مُتْعبا
فَجعلت زينبُ سُتْرَةَ ... وكتمت أمْرًا مُعجبا

ويقال إنها مشت على ميزاب طوله عشرون ذراعا وكتبت إلى الخادم :

قد كان ما حُمِّلتُه زمنا ... ياطلُّ من كَلَفٍ بكم يكفى
حتى أتيتك زائرا عتماً ... أمشى على حَتْفٍ إلى حَتْفِ[1]

(١) الفاضل ص ١٢١ ، ص ١٢٢

فالنص يكشف عن صورة الحياة للمجتمع العباسى أيام الرشيد ، وزينته وتقدمه الحضارى وما يدور فى القصر من حب وغرام بين السادة والخدم . كما كشف النص عن الفصاحة واللسن ، وأن القرآن الكريم يمنح المرء قدرة ويوسع فى مداركه ، بل استطاعت هذه . . بتصحيفها ـ أن تنجو من عقاب الرشيد .

كما تكلم عن الهندسة المعمارية فى بناء القصور إذ عرفت القصور الميازيب لتصريف ماء المطر . .

وعلى الجملة فالكتاب فى نطاق الفكاهة يعطى انطباعاً وتصورا عن خلق المبرد ذاته . وكيف أن الفكاهة عنده تتسم بالرقة والعفة عكس فكاهة الجاحظ التى تتسم بالفحش وَهُجْر القول .

وأخيرا فالكتاب رغم صغر حجمه عظيم الفائدة قد أحاط بكثير من فنون القول ، وقدم تصورا للحركة اللغوية وتطورها .

ولعل أخطر ما فيه وأهم ما فيه ، أن الكتاب يعالج قضية الأخلاق وقد قلبها بين صور شتى ، وعرضها فى مرآى مختلفة ، ولعله يقصد أن يقدم للشباب العربى فى عصره وبعد عصره : العقل والعلم والخلق كل مجتمع فى باقة كتابه الفاضل .

الفصل الثالث

القيمة العلمية لكتاب الفاضل

أهمية كتاب الفاضل :

ترجع أهمية كتاب الفاضل للمبرد فى أن هذا الكتاب ، أثار كثيرا من القضـايا الأدبية والفنية ، كما أنـه الكتـاب الـذى أفـرد بابـا للكـلام عن الفصاحة ، صحيح سبقته كتابات فى هذا المجال ولكنها فقدت . وبقى ما سطره قلم المبرد يصاول الأيام حتى وصل الينا . كما تكلم عن الجمال وفرق بين الجمال المادى والجمال المعنوى ، وتكلم الجمال ومتاعبه ومآسيه .

كما ترجع أهمية الكتاب كذلك إلى أنه المصدر الوحيد للمثل الذى جاء فى جمهرة الأمثال للعسكرى . والذى يقول : «لا ترضى الشانئة إلا بجزرة[1] وهـذا المثـل رواه المبرد سَماَعًا عن أم الهيثم الأعرابية والتى كانت كما يقول عنها : «من أفصح من رأيت وسمعتها تقول ، من كلامنا : «لا ترضى شانئة إلا بجزرة» . والشانئة المبغضة ، وهى لا ترضى ممن أبغضته إلا باستصال ، ومنه قيل سيف جُرَّاز للذى يقطع كل ما يمر به ، ورجل جَروز إذا قعد على الزاد فأفناه . . الخ »[2]

كما أنه جاءنا بنصوص مفقودة لم تتضمنها دواوين أصحابها . فمن هذه النصوص أنه جاء بنص فى باب المراثى لأخت عمرو ذى الكلب[3] ترثيه قالت :

يامن بمقتله زُهى الدهر   قد كان فيك تضاءل البدر

---

(١) الفاضل ص ٢٢ ، وجمهرة الأمثال لأبى هلال العسكرى ، تحقيق محمد أبو الفضل ابراهيم ، عبد المجيد قطاش جـ ٢ ص ٤١٨ ط/ ١ القاهرة ط/ ١ سنة ١٩٦٤

(٢) الفاضل ص ٢٢

(٣) الفاضل ص ٥٩

وهذا النص غير موجود فى ديوان الهذليين ، ويقول محقق الفاضل أن المبرد وهم فى إسناد هذا الشعر لأخت عمرو ذى الكلب . لأن أبا على القالى كما جاء فى الأمـالى يقول : «وحدثنا أبو بكر بن دريد الأزدى قال : أخبرنا عبد الرحمن عن عمه قال : رأيت بالبادية امرأة على راحلة لها تطوف حول قبر وهى تقول :

يا من بمقلته زها الدهر قد كان فيك تضاءل الأمر[1]

وَأَرُدُّ على المحقق ولمـاذا الـوهم ، فاحتـمال أن يكـون المبرد رواها عن الأصمعى عن طريق التوزى . وأن أبا على القالى رواها بدوره عن ابن دريد التى سمعها من أبى حاتم السجستانى أو التوزى وهم يعولون فى الرواية على الأصمعى وغيره . .

كذلـك جاء بنص مفقود لم يتضمنه ديوان المتلمس الضبعى[2] (رواية الأثرم وأبى عبيدة عن الأصمعى) جاء فى الديوان هذا النص .

(. . . وقوله وهوَ أحسن ما ورد فى المستنبحات (الطويل) :

١ ـ ومستنبح تستكشف الريحُ ثوبه
ليسقط منه ، وَهْوَ بالثَّوْبِ مُعْصِمُ

٢ ـ عِوى ِ فى سواد الليل بعد اعتافه
لينبحَ كَلْبٌ ، أو ليوقِظَ نُوَّمُ

٣ ـ فجاوَبَه مُسْمَّع الصَّوتِ للنَّدى
له عند إتيان المهيبين مطعَمُ

٤ ـ يكادُ إذا ما أبصر الضَّيْفَ مُقْبلا
تُكَلِّمُهُ من حُبِّهِ وَهُو أَعْجَمُ

---

(١) أبو على القالى : الأمالى ، تحقيق محمد عبد الجواد الأصمعى جـ ١ ص ٦٤ جـ ١/ ٢ القاهرة ١٩٧٥

(٢) ديوان المتلمس الضبعى ، تحقيق حسن كامل الصرفى ص ٣١٦ ق ٣٧ ط/ ١ القاهرة ١٩٧٠

فهـذا النص ، فى الأبيات الثانى والثالث والرابع إنما المرجع فيها هو كتاب الفاضل للمبرد[٣]

وهى مروية فيه مع اختلاف فى بعض ألفاظها ، وغير معزوة لأحد وإن كان محقق الكتـاب يعـزوهـا لابـراهيم بن هرمـة استنـادا إلى ما جاء فى الحماسة[١] ، الحيوان[٢] ، وأمالى المرتضى[٣]

وعليه فإذا كنـا سننسبه إلى المتلمس . فحسب ما جاء فى سرح العيون شرح رسـالـة ابن زيدون لابن نُبَـاتـة المصرى[٤] ، ومحـاضرات الـراغب الأصفهانى الذى ذكر البيت الأول فقط[٥] . وأما باقى المراجع[٦] فإنها تنسبها إلى ابراهيم بن هرمة[٧] مع تفاوت فى عدد الأبيات .

ومن النصـوص التى تضمنهـا الفـاضل وأثارت جدلا بين النقاد هذه المقطوعة التى قيلت فى مدح يزيد بن معاوية . فالمبرد يقول : وقال جرير فى كلمة له :

---

(٣) الفاضل ص ٣٧ ، ص ٣٨

(١) الحماسة شرح الخطيب التبريزى . جـ ٤ ص ٦٦ فى القاهرة ١٢٩٦ هـ .

(٢) الحيوان للجاحظ : تحقيق عبد السلام هارون جـ ١ ص ٣٧٧ ، ص ٣٧٨ ط/ القاهرة

(٣) الأمالى للمرتضى (غرر الفوائد ، ودرر الفرائد) تحقيق محمد ابو الفضل ابراهيم جـ ٢ ص ١١٣ ، ١١٤ ط/ ١ القاهرة ١٩٥٤

(٤) سمط اللآلى للبكرى ، تحقيق عبد العزيز الميمنى جـ ١/ القاهرة ١٩٣٦

(٥) الراغب الأصفهانى : محاضرات الأدباء جـ ٢ ص ٢٤٥ ط/ ١ القاهرة ١٣٢٦ هـ

(٦) البيان والتبيين (ت/ هارون) جـ ٣/ ٢٠٥ ، ط ٣ القاهرة سنة ١٩٦٨ والحيوان (ت/ هارون) جـ ١/٣٧٧/ ٣٧٨ ، الشريف المرتضى (جـ ٢/ ١١٣ ، ص ١١٤ ، الموشح للمرزبانى : تحقيق على محمد البجاوى ص ٣٤٩ ط/ ١ القاهرة ١٩٦٥ ، نقد الشعر : قدامة بن جعفر تحقيق محمد عبد المنعم خفاجى ص ١٩٩ ط/ ١ القاهرة ١٩٧٩ .

(٧) ديوان ابراهيم بن هرمة ، تحقيق محمد جابر المعيبد ص ٢٠٨ ط/ ١ النجف/ العراق) ١٩٦٩

يا قَلَّ خيرُ الـعــوانى كيف رُعن به	فشربــه وشــل فيهــن تصريدُ
أعرض من شَمَط فى الرأس مشتعلٍ	فِهُــنَّ عنــى إذا أبصرنــنــى جِيدُ
قد كنَّ يعهدْن منى متضحكا حسناً	وَمَـفْــوقــا حَسرَت عنــه العنــاقيد

. . . الخ[8]

وهذا النص نسبه للأخِطل إيليا سليم الحاوى فى شرح ديوان الأخطل على أنها له وليست لجرير كما جاء فى الفاضل[9]

ومن النصوص التى جاءت فى الفاضل ولم تتضمنها دواوين أصحابها ما جاء به المبرد فى الفاضل لمحمد بن حازم الباهلى . .

يقول المبرد :

«وانشد :

وإنى ليثنينى عن الجهــل والخنــا	وعن شتم ذى القرى خلائق أربع
حياءٌ وإيمان ودين وأنــنــى	حليمٌ ومثــلى لا يضر ويَنـفَــعُ[1]

وهذا النص جاء فى الفاضل للمبرد بلا نسبة ، وإن كان محقق الديوان قد اعتمد الفاضل للمبرد كمرجع له . وإذا عدنا إلى الديوان تراه يقول :

(وقال محمد بن أبى حازم وتروى لأبى الأسود الدؤلى : (من البحر الطويل) .

(٨) الفاضل ص ٧٤ ، ديوان جرير بتحقيق نعمان محمد طه جـ ٢ ص ١٠٢٦ ط/ ١ القاهرة ١٩٧١

(٩) شرح ديوان الأخطل التغلبى : شرح ايليا الحاوى ص ٩٥ ، ص ٩٦ ط/ ١ بيروت سنة ١٩٦٨

(١) الفاضل للمبرد ص ٩١

١ ـ وإننى ليثنينى عن الجهل والخنا   وعـن شتـم أقـوام خلائـق أربـع
٢ ـ حياء وإســلام وتـقـوى وأننى   كريم ومــثـلى قدْ يضرُّ وينـفـع
٣ ـ فَشَتَّــان ما بينى وبينـك إنَّنى   عَلى كُلِّ حَالٍ أسـتـقـيمُ وتـظلعُ

وقد أورد ابن عبد ربه فى العقد الفريد الأول والثانى وعزاهما لابن أبى حازم(٢) . وفى غيره كالحماسة البصرية(٣) ، وفى لباب الآداب(٤)

وأما ما جاء فى الأغانى ، فهو نسبة الأبيات الى أبى الأسود الدؤلى(٥)

---

(٢) ابن عبد ربه : العقد الفريد ، تحقيق احمد أمين وآخرين جـ ٢ ص ٤١٥ ط ٣ القاهرة ١٩٦٩

(٣) صدر الدين بن الفرج البصرى : الحماسة البصرية جـ ٢ ص ١٨ - حيدر آباد الدكن ١٩٦٤

(٤) اسامة بن منقذ : لباب الآداب : تحقيق احمد شاكر ص ٢٨٦ ط/ القاهرة ١٩٥٣

(٥) الأغانى لأبى الفرج الاصفهانى (تحقيق ابراهيم الابيارى جـ ١٢ ص ٤٤٨٥ ط/ ١ الشعب ١٩٦٩

المصادر والمراجع

مسلسل	اسم الكتاب	المؤلف	رقم الطبعة	الجهة	السنة
١	أدب الكاتب	ابن قتيبة	٣	القاهرة	١٩٥٨
٢	الاقتضاب	تحقيق محمد محى الدين عبد الحميد			
	شرح أدب الكتاب	لابن السيد الطيلوسى	ط/١	بيروت	١٩٠١
٣	الأمالى	لأبى على القالى	١	القاهرة	١٩٧٥
		تحقيق محمد عبد الجواد الأصمعى			
٤	الأمالى (غرر الفوائد ودرر الفرائد)	الشريف المرتضى			
		ت/ محمد ابو الفضل ابراهيم	١	القاهرة	١٩٥٤
٥	الأنساب	السمعانى	١	لندن	١٩١٢
		نشر مرحليوت			
٦	البداية والنهاية	ابن كثير	١	القاهرة	١٩٣٢
٧	البلاغة	للمبرد	١	القاهرة	١٩٦٥
		تحقيق . د . رمضان عبد التواب			
٨	البلدان	لليعقوبى	١	ليدن	١٨٩٠
٩	البيان والتبيين	للجاحظ	٣	القاهرة	١٩٦٨
		تحقيق عبد السلام محمد هارون			
١٠	انباه الرواة على انباه النحاة	القفطى	١	القاهرة	١٩٥٠
		تحقيق محمد أبو الفضل ابراهيم			

مسلسل	اسم الكتاب	المؤلف	رقم الطبعة	الجهة	السنة
١١	بغية الوعاة فى الطبقات اللغوين والنحاة	السيوطى تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم	١	القاهرة القاهرة	١٩٦٥
١٢	تاريخ أبى الفدا ـ المختصر فى أخبار البشر	لأبى الفدا			١٣٢٥ هـ ١٩١٢
١٣	تاريخ آداب اللغة العربية	جورجى زيدان			
١٤	تاريخ الأمم والملوك	الطبرى تحقيق / محمد أبو الفضل إبراهيم	١		١٩٧٦
١٥	تاريخ الخلفاء	السيوطى	١	القاهرة	١٣٠٥ هـ
١٦	ثلاثة كتب فى الأضداد	الأصمعى ـ السجستانى ـ ابن السكيت ت / هفنر	١	بيروت	١٩١٣
١٧	جمع الجواهر فى الملح والنوادر	الحصرى القيروانى	١	القاهرة	١٩٥١
١٨	جمهرة أنساب العرب	لابن حزم الأندلسى تحقيق عبد السلام هارون	١	القاهرة	١٩٦٢
١٩	جمهرة الأمثال	العسكرى	١	القاهرة	١٩٦٤
٢٠	الحماسة البصرية	صدر الدين عبد الفرج البصرى	١	حيدر آباد	١٩٦٤
٢١	حماسة ابى تمام	شرح الخطيب التبريزى	١	القاهرة	١٢٩٦ هـ
٢٢	الحيوان	للجاحظ . ت/ عبد السلام هارون	٢	القاهرة	١٩٦٥
٢٣	خزانة الأدب	البغدادى ت/ عبد السلام هارون	٢	القاهرة	١٩٦٨
٢٤	ديوان ابراهيم بن هرمة	لابن هرمة تحقيق/ محمد جابر المعيبد	١	العراق	١٩٦٩
٢٥	ديوان الأعشى	تحقيق أدلف جابر	١	لندن	١٩٢٨
		تحقيق د/ محمد محمد حسين	٢	بيروت	١٩٦٨

مسلسل	اسم الكتاب	المؤلف	رقم الطبعة	الجهة	السنة
٢٦	ديوان امرىء القيس	تحقيق/ محمد أبو الفضل ابراهيم	١	القاهرة	١٩٦٤
٢٧	ديوان أوس بن حجر	تحقيق/ محمد يوسف نجم	٣	بيروت	١٩٧٩
٢٨	ديوان بشار بن برد	تحقيق/ محمد الطاهر عاشور وآخر		القاهرة	١٩٦٦
٢٩	ديوان المتلمس الضبعي	تحقيق حسن كامل الصيرفي	١	القاهرة	١٩٧٠
٣٠	ديوان جرير	تحقيق د . نعمان أمين طه	١	القاهرة	١٩٦٩
٣١	ديوان حسان بن ثابت	تحقيق/ عادل سليمان جمال	١	القاهرة	١٩٧٨
٣٢	ديوان الحطيئة .	تحقيق/ د . نعمان أمين طه	١	القاهرة	١٩٥٨
٣٣	ديوان الفرزدق	تصحيح وشرح بشير يموث	٢		
٣٤	رسالة فى أعجاز ابيا تغنى فى التمثيل عن صدورها	المبرد تحقيق عبد السلام هارون (نوادر المخطوطات)	١	القاهرة	١٩٥١
٣٥	رغبة الأمل من كتاب الكامل	سيد على المرصفى	١	القاهرة	١٩٢٧
٣٦	روضات الجنات فى أحوال العلماء والسادات	ميرزا باقر الخوا نسارى	١	إيران	١٣٤٧ هـ
٣٧	سمط اللآلىء فى شرح أمالى القالى	لأبى عبيدة البكرى تحقيق عبد العزيز الميمنى	١	القاهرة	١٩٣٦
٣٨	شجر الدر فى تداخل الكلام بالمعانى المختلفة	لابى الطيب عبد الواحد ابن على اللغوى ـ تحقيق محمد عبد الجواد	٢	القاهرة	١٩٦٨
٣٩	شذرات الذهب	لابن العماد الأصفهانى	١	القاهرة	١٣٥٠
٤٠	شرح ما يقع فيه التصحيف والتحريف	لأبى احمد الحسن بن عبد الله ابن سعيد السكرى تحقيق عبد العزيز أحمد	١	القاهرة	١٩٦٣
٤١	الشعر فى بغداد حتى نهاية القرن الثالث الهجرى	احمد عبد الستار الجوارى	١	بيروت	١٩٥٦

مسلسل	اسم الكتاب	المؤلف	رقم الطبعة	الجهة	السنة
٤٢	شمس العلوم ودواء كلام العرب من الكلام	نشوان الحِمْيَرى	١	ليدن	١٩٥١
٤٣	الصراع بين الموالى والعرب	د/ محمد بديع شريف	١	القاهرة	١٩٥٤
٤٤	ضحى الإسلام	احمد أمين	٧	القاهرة	١٩٦٤
٤٥	طبقات الأمم	لابن صاعد الأندلسى	١	القاهرة	
٤٦	طبقات فحول الشعراء	لابن سلام الجمحى تحقيق/ محمود محمد شاكر	٢	القاهرة	١٩٧٤
٤٧	طبقات القراء	ابن الجزرى تحقيق برجستراسر وريسل	١	القاهرة	١٩٣٢
٤٨	طبقات المفسرين	الداودى تحقيق/ على عمر	١	١	١٩٧٢
٤٩	طبقات النحويين	لابن شهبة مخطوط ٢١٤٦ تاريخ تيمور		دار الكتب	
٥٠	طبقات النحويين واللغويين	لابى بكر الزبيدي تحقيق محمد أبو الفضل ابراهيم	١	القاهرة	١٩٥٤
٥١	العقد الفريد لابن عبد ربه	أحمد أمين وآخرين	٣	القاهرة	١٩٦٩ ١٩٧١
٥٢	العمدة فى صناعة الشعر ونقده	ابن رشيق	١	القاهرة	١٣٢٥ هـ
٥٣	الفن ومذاهبه فى النثر العربى	د/ شوقى ضيف	٦	القاهرة	١٩٧١
٥٤	فهرست ما رواه ابن خير عن شيوخه	ابن خير الاشبيلى	١	سرقسطة	١٨٩٣
٥٥	الفهرست لابن نديم	ابن النديم	١	القاهرة	
٥٦	الكامل فى التاريخ	لابن الأثير - تعليق عبد الوهاب النجار	١	القاهرة	١٣٥٧ هـ
٥٧	الكامل	المبرد تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم والسيد شحاته	١	القاهرة	١٩٥٦

مسلسل	اسم الكتاب	المؤلف	رقم الطبعة	الجهة	السنة
٥٨	الكتاب	لسيبويه تحقيق عبد السلام هارون	١	القاهرة	١٩٦٦ وما بعدها
٥٩	كشف الظنون عن أسامى الكتب والفنون	حاجى خليفة	١		
٦٠	لباب الأدب	أسامة بن منقد ت/ احمد محمد شاكر	١	القاهرة	١٩٥٣
٦١	لسان العرب	لابن منظور	١	بولاق	١٣٠٧ هـ
٦٢	ما اتفق لفظه واختلف معناه فى القرآن المجيد	المبرد تحقيق / عبد العزيز الميمنى		القاهرة	٣٥٠ هـ
٦٣	المبرد حياته وآثاره	عبد الخالق عصمة	١	القاهرة	١٣٩١ هـ
٦٤	مجمع الأمثال	للميدانى تحقيق محمد أبو الفضل ابراهيم	١	القاهرة	١٩٧٩
٦٥	محاضرات فى تاريخ الأمم الإسلامية الدولة العباسية	محمد الخضرى	١	القاهرة	١٣٣٤ هـ
٦٦	المذكر والمؤنث	المبرد تحقيق د/ رمضان عبد التواب وصلاح الهادى .	١	القاهرة	١٩٧٠
٦٧	مراتب النحويين	لأبى الطيب اللغوى تحقيق محمد أبو الفضل ابراهيم	١	القاهرة	١٩٥٥
٦٨	مرآة الجنان وعبرة اليقظان	اليافعى	١	حيدر أباد الدمن	١٣٣٨ هـ
٦٩	معجم الأدباء ياقوت الحموى	ياقوت الحموى تحقيق احمد فريد الرفاعى	١	القاهرة	١٩٣٦
٧٠	معجم البلدان	ياقوت الحموى	١	القاهرة	١٩٠٦
٧١	معجم الشعراء	المرزبانى . تحقيق عبد الستار فراج	١	القاهرة	١٩٦٠

مسلسل	اسم الكتاب	المؤلف	رقم الطبعة	الجهة	السنة
٧٢	مفتاح السعادة ومفتاح السيادة	طاش كبرى زاده	١	حيدر أباد	١٣٢٩ هـ
٧٣	المقتضب للمبرد	تحقيق محمد عبد الخالق عضيمة	١	القاهرة	١٩٦٨
٧٤	الموشح	للمرزبانى تحقيق على محمد البجاوى	١	القاهرة	١٩٦٥
٧٥	النجوم الزاهرة	ابن تغرى بردى	١	القاهرة	١٩٣٧
٧٦	نزهة الألباء فى طبقات الأدباء	الأنبارى	١	القاهرة	
٧٧	نقد الشعر	قدامة بن جعفر تحقيق محمد عبد المنعم خفاجى	١	القاهرة	١٩٧٦
٧٨	هدية العارفين فى أسماء المؤلفين وآثار المصنفين	اسماعيل باشا البغدادى	١	استامبول	١٩٥٥
٧٩	وفيات الأعيان	ابن خلكان	١	بولاق	١٢٩٩ هـ

ب ـ المراجع الأجنبية

مسلسل	اسم الكتاب	المؤلف	رقم الطبعة	الجهة	السنة
١	أهل الذمة فى الإسلام	ترتون ترجمة حسن حبشى	١	القاهرة	١٩٤٩
٢	بغداد فى عهد الخلافة العباسية	لسترانج	١	بغداد	١٩٣٦
٣	تاريخ الأدب العربى	برد كلمان تحقيق عبد الحليم النجار وآخرين	١	القاهرة	١٩٦١

٤	حضارة الإسلام	جوستاف جرونباوم ترجمة عبد العزيز توفيق جاويد وعبد الحميد العبادى	١	القاهرة ١٩٥٣
٥	خطط الكوفة	ماسينون ترجمة المصعبى	١	القاهرة ١٩٣٩

جـ/ الدوريات

١ ـ مجلة الرسالة ـ العدد ٢٠٥ القاهرة ١٩٣٧

٢ ـ مجلة تراث الإنسانية المجلد ٧ العدد الأول جـ ٣/ ١٨

٣ ـ المأمون ـ د/ محمد مصطفى هدارة ـ
سلسلة أعلام العرب العدد ٥٩/ ١٩٦٦

٤ ـ المبرد حياته وآثاره احمد القرنى وآخر سلسلة اعلام العرب/ ٩٤

الفهرست

رقم الايداع ٧٧٣٣ / ١٩٨٥